

الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة

The Temporal Implication of the Present Tense in
"At- Tawpah Sura"

إعداد الطالبة

هداية نعيم محمد أبو زاكية

الرقم الجامعي : 401310169

إشراف

الأستاذ الدكتور : عبد الرؤوف زهدي

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

كانون الثاني / 2016 م

التفويض

أنا هداية نعيم محمد أبو زاكية أفوض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقيا وإلكترونيا للمكتبات ، أو المنظمات ، أو الهيئات ، أو المؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العامة عند طلبها .

الاسم : هداية نعيم محمد أبو زاكية .

التاريخ : / / ١٤٣٧ هـ .

الموافق : ١٩ / ١ / ٢٠١٦ هـ .

التوقيع :



١. أ. د. خالد أبو زيد

٢. أ. د. عبد السلام

٣. د. محمد عبد الله أبو البر

كلمة شكر وثناء وعرّفان

الحمد لله الذي عزّ جلاله فلا تدركه الأفهام، وسما كماله فلا تحيط به الأوهام، وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام، الموصوف بالعلم والقدرة والكلام، وهو القائل في كتابه: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"، وصلوات الله وسلامه على خير البشريّة سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعد أن وفقني الله . عزّ وجلّ . لإتمام هذه الرسالة ، لا يسعني ذلك إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرّفان لكل من كانت يده عوناً لي ، وأخصّ بالذكر أستاذي الدكتور عبد الرؤوف زهدي الذي أفرغ عليّ صبره ، ولم يتوان عن إسداء النصّح والإرشاد لي ، لنصل إلى الطريق القويم.

كما أتقدّم بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا عليّ بقبول مناقشة

هذه الرسالة ؛ لتقويم اعوجاجها ، وسدّ ثغورها ... قائلة لكم جميعاً :

وفّقكم الله لما يحبّ ويرضى ، ونفع بكم الإسلام والمسلمين .

الإهداء

إلى والدي حافظ نجاحي ...

إلى والدتي باعثة آمالي ...

إلى زوجي رفيق دربي ...

إلى ابنتي مهجة قلبي ...

أهدي هذه الرسالة

الباحثة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الغلاف	أ
التفويض	ب
قرار لجنة المناقشة	ج
الشكر والتقدير	د
الاهداء	هـ
قائمة المحتويات	و
الملخص باللغة العربية	ط
المخلص باللغة الإنجليزية	ي
الفصل الأول : الإطار العام للدراسة	
مقدمة الدراسة	1
مشكلة الدراسة وأسئلتها	4
أهداف الدراسة	5

5	أهمية الدراسة
6	حدود الدراسة
6	مصطلحات الدراسة
	الفصل الثاني : الإطار النظري والدراسات السابقة
8	الإطار النظري
30	الدراسات السابقة
34	الزمن اللغوي والزمن الفلسفي
36	الزمن الصرفي والزمن النحوي
37	الفعل عند القدماء
39	الفعل عند المحدثين
45	أقسام الزمن عند المحدثين
	الفصل الثالث : الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة
51	تمهيد
54	الدلالة الأولى : الماضي المطلق
59	الدلالة الثانية : الماضي القريب من الحال.
60	الدلالة الثالثة : الماضي المتجدد.

65	الدلالة الرابعة : الماضي المقارب.
66	الدلالة الخامسة : الحال التّجدي.
69	الدلالة السادسة :المستقبل القريب.
72	الدلالة السابعة :المستقبل البعيد.
73	الدلالة الثامنة : المستقبل المطلق.
77	الدلالة التاسعة : الزّمن المطلق .
83	الخاتمة
85	المراجع والمصادر

الدّالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التّوبة

الباحثة : هداية نعيم محمد أبو زاكية

المشرف : أ . د عبد الرؤوف مصطفى زهدي

الملخص

تناولت هذه الدّراسة الدّالة الزّمنية للفعل المضارع عند النّحاة القدماء والمحدثين ، إذ حاولت أن تعيد صياغة مفهوم الفعل المضارع كما عرّفه النّحاة القدماء وفق الدّراسات اللّغوية الحديثة ، وذلك لأنّ الدّالة الزمنية للفعل جزء وثيق من مفهومه .

كما حاولت أن تكشف عن الدّلالات الزّمنية الموجهة بالجهات الزّمنيّة، مبيّنة القرائن اللفظية والحاليّة المحدّدة لها، مختارة نصا لغويّا غنياً بالأفعال المضارعة وهو سورة التّوبة .

وقد تبين لي بعد استقراء الأفعال المضارعة وتحليلها ، أنّ الفعل المضارع يشتمل على كثير من الدّلالات الزّمنية المتأثّرة بمفهوم الجهة فهو غير مقترن بزمن محدد في السّياق اللّغوي وأنّه لا بدّ من تضافر القرائن اللفظية . إن وجدت . والحاليّة معاً للوصول إلى تحديد زمني دقيق لصيغة الفعل المضارع في السّياق اللّغوي ، فلا يمكن الاعتماد على إحداهما دون الأخرى ضمن السّياق اللّغوي الواحد.

الكلمات المفتاحية :

. الدّالة .

. الزّمن .

The Temporal Implication of the Present Tense in "At-Tawpah Sura"

Researcher: prof.Abd Alraoof Mustafa Zuhdi

Supervisor :Hedayh Naeem Abu Zakiah

Abstract

This study addressed the significance of the time when the present tense of the verb ancient and modern grammarians compare the two, the study tried to reformulate the concept of the present tense, as defined by the ancient grammarians, according to modern linguistic studies, because the significance of time to act in close part of the concept .

As I tried to reveal the connotations of time against approaching the time set out evidence of verbal and current specific to the selected language context rich with deeds Almdharah a Repentance.

It found that when the researcher after extrapolate acts Almdharah and analysis, that the present tense include the many connotations of the time affected the concept is not associated with a specific language in a time context,It also found that there must be a concerted verbal clues, if any, and the current to get together to determine a precise time for the formula the present tense in linguistic context, it can not rely on one without the other one within the linguistic context .

Key words :Significance,time

الفصل الأول

المقدمة :

ما زال القرآن الكريم وجهة الدارسين، ومراد الباحثين، فهو المنارة والضياء التي يقصدها العلماء، في محاولة للكشف عن مظاهر إعجازه، وكشف أسرار بيانه، فكان لزاماً على من أراد دراسة اللغة العربية أن يرتشف من شهد الأصل، فتقدّم جهابذة علمائنا ليحصلوا شرفاً عظيماً بخدمته، فتوسّعوا بإظهار إعجاز بيانه ووقفوا طويلاً عند روح معانيه.

ومن المباحث القواعدية المتعلقة بالقرآن الكريم مبحث التفسير، فمراد الكلام الذي تزيّنه طريقة الإيصال الهدف الأسمى للنص الأدبي، فالمراد هو المعنى ، والطريقة هي اللفظ ، وبين هذا وذاك يظهر للعيان أهمية دراسة علوم اللغة بشكل عام .

ومن الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر النحوي قديماً وحديثاً مسألة الزمن ، فالزمن من الموضوعات الفعالة والمؤثرة في الفكر النحوي إلا أن الحديث عنه جاء مفرداً بين بطون الكتب، فلم يبوّب تحت باب واحد.¹

فجاء علماء اللغة المحدثون بدراسات تستنبط وتبوّب ما جاء به القدماء عن الزمن لتجمعه في باب واحد ، آخذة على عاتقها مسؤولية النقد والتطوير.

¹ الخالدي ، كريم حسين ناصح و زنكنة ، شيماء رشيد محمد ، الخلاف في الزمن في ضوء السياق والحال وأسباب النزول ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد 75 ، ص 19. 2012.

وما الفعل إلا ركن مقترن بالزمن من أركان علم النحو، إذ قسم القدماء الفعل إلى أقسام بناء على ارتباط كل منها بزمن محدد، كما هو حال الفعل المضارع المرتبط بالزمن الحاضر أو المستقبل، معتمدين في ذلك على تقسيمات الزمن الفلسفي.

فلم يفرّقوا بين زمن الفعل بشكل مفرد، وزمنه في السياق، "فقد ركز النحاة اهتمامهم على الزمن الصرفي من خلال الصيغ الفعلية المعزولة عن سياقاتها، وعدّوا الزمن الصرفي زمناً نحويًا، ولم يهتموا بدراسة الدلالات الزمنية الدقيقة التي يمكن أن تفهم من خلال السياقات اللغوية المختلفة".¹

الأمر الذي دفع علماء اللغة المحدثين إلى الخروج عن بوتقة الزمن الفلسفي، والتّوصل إلى دلالات زمنية دقيقة للفعل.

وهذه الدلالات الزمنية الدقيقة تتأتى من مفهوم الجهة الذي هو " تخصيص لدلالة الفعل ونحوه إما من حيث الزمن، وإما من حيث الحدث، وتقصص عنها اصطلاحات البعد والقرب والانقطاع والاتصال والتجدد والانتها والاستمرار والمقاربة والشروع والعادة والبساطة".²

ولمّا كانت سورة التوبة من السور المدنية المتضمنة عدة أحكام متعلقة بتحديد العلاقة مع أهل الكتاب، والحث على الجهاد والتحذير من المنافقين، جاءت مبنيةً على كثير من الأحداث والتوجيهات، الأمر الذي جعل للفعل حضورًا لافتًا فيها بشكل عام، وذلك لأنّه مرتبط بالحدث كما هو مرتبط بالزمن، وللمضارع منه بشكل خاص .

¹ حسام الدين، كريم زكي، الزمان الدلالي، (دراسة لغوية لمفهوم الزمان في الثقافة العربية)، دار غريب للطباعة والنشر، ط2، 2002.

² حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، 1994م، ص257.

وما ستقوم فيه هذه الدراسة هو محاولة لكشف هوية الفعل المضارع ، ومدى التزامه بدلالة
 زمنية معينة، والبحث في قرائن لفظية وأخرى حاليّة تكسبه دلالات زمنية جديدة في سياق
 من التوجيهات الرّبّانية المختزنة بين مكونات اللغة في سورة التوبة ، للتوقف على مظاهر
 إعجازية بيانية لم يسبق الوقوف عليها في سورة التوبة . بحسب علم الباحثة . كما أنها تجسد
 أنموذجا تطبيقيا للدراسات اللغوية التنظيرية الحديثة المتعلقة بما يعرف بـ (الدلالة الزمنية)
 فكان عنوان الدراسة (الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة) موضوعا يستحق
 الدراسة.

كما نهجت في دراستي هذه منهج تحليل المحتوى ، إذ قمت باستقراء كتب اللغة القديمة
 والحديثة وكتب التفاسير ، وتحليل الأفعال المضارعة في سورة التوبة تحليلا منهجيا وصفيا .

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

. مشكلة الدراسة :

ستحاول هذه الدراسة الكشف عن المضارع بدلالته على الزمن الحاضر أو المستقبل وإمكانية دلالاته على أزمنة أخرى، والجهات الزمنية الدقيقة التي يدل عليها عند ارتباطه بالقرائن اللفظية والحالية.

. أسئلة الدراسة :

1. ما القرائن اللفظية المحددة للدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة ؟
2. ما دور القرائن الحالية المتعلقة بتفسير الآية وأسباب نزولها في تحديد الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة ؟
3. ما أنواع الجهة الزمنية التي عرضت الأحداث من خلالها في سورة التوبة ؟
4. ما مدى صحة اقتران الفعل المضارع في الزمن الحاضر أو المستقبل في سورة التوبة؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن عدم التزام الفعل المضارع بدلالته على الزمن الحاضر أو المستقبل ، وإمكانية دلالاته على أزمنة أخرى، كما توضح الأزمنة البينية الدقيقة بين الأزمنة الفلسفية الثلاثة المعبر عنها بالجهات الزمنية ، وذلك من خلال:

1. دراسة القرائن اللفظية المحددة للدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة.
2. الكشف عن دور القرائن الحالية المتعلقة بتفسير الآية وأسباب نزولها في تحديد الدلالة الزمنية المحددة للدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة.
3. بيان أنواع الجهة الزمنية التي عرضت الأحداث من خلالها في سورة التوبة ، والكشف عن الدلالات الزمنية للفعل المضارع المنبثقة عنها في سورة التوبة .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية :

1. أنها تمثل أنموذجاً تطبيقياً لـ الدلالة الزمنية للفعل المضارع وفق الدراسات اللغوية الحديثة .
2. إمكانية تطبيق نتائج هذه الدراسة في بيئة التعلم .

3. إثراء المكتبة العربية بدراسة علمية محكمة . إن شاء الله تعالى . تتناول موضوعاً يفيد منه الباحثون وطلبة الدراسات العليا .

حدود الدراسة :

تقع حدود هذه الدراسة في حقل الدلالة الزمنية للفعل المضارع، أما مجتمع الدراسة فهو (القرآن الكريم)، والعينة التي طُبِّقَتْ عليها (سورة التوبة) .

مصطلحات الدراسة :

الدلالة :

عرّفه عمر، (1998) في الفرع من الدلالة بقوله : "علم الدلالة هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى". أو هو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى".

وعرّفه الشاكر، (1992) في كتابه **مدخل إلى علم الدلالة** بقوله : "إنّ علم الدلالة يعنى بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية " .

وعرّفه زكريا ،(1983) في كتابه **الألسنية** بقوله : "هو مستوى من مستويات الوصف اللغوي يتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو المعنى " .

إذن فالتعريف الإجرائي للدلالة هو: " ما يبحث فيما يحيل إليه الرّمز اللّغوي من

معنى " .

الزّمن اللّغوي :

عرّفه جحفة ، (2006) في كتابه دلالة الزّمن في العربية بقوله : " هو مقولة لغوية تسهم في بناء البنيات اللغوية وهذه المقولة مقولة فعلية بامتياز".

وعرّفه المخزومي ، (1986) في كتابه في النّحو العربي بأنه : "صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة ترتبط ارتباطاً كلياً بالعلاقات الزمنية عند المتكلم".

عرّفه حسان ، (1994) في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها بتقسيمه إياه إلى قسمين :

الزّمن الصرفي الذي هو " وظيفة الصيغة الفعلية المفردة" ، والزّمن التّحوي الذي هو "وظيفة في السياق يؤديها الفعل...".

إنّ فالتعريف الإجرائي للزّمن اللّغوي هو :

مقولة لغوية مرتبطة بالحدث يمثلها الفعل خارج السياق (صرفياً) و داخل السياق (نحوياً) .

وعليه فإنّ الدّلالة الزّمنية هي :

ما يبحث فيما يحيل إليه الحدث اللّغوي من زمن ضمن سياق لغوي محدد.

الفصل الثاني : الإطار النظري والدراسات السابقة.

أولا : الإطار النظري.

تقسم الكتب التي تناولت العلاقة بين الفعل المضارع ودلالاته الزمنية بصورة تطبيقية أو تنظيرية بطريقة مبسطة أو مفصلة إلى ثلاثة أقسام :

أولا : كتب النحو القديمة ، وقد أفدنا منها في تحديد القرائن اللفظية المتصلة بالفعل المضارع ، وتوضيح معانيها وفوائدها وتأثيراتها في الدلالة الزمنية للفعل المضارع ، ومن هذه القرائن (لم ، لما ، السين ، وسوف ، لا النافية ، كان ، لعلّ ،... وغيرها) ، ومن هذه الكتب :

1 . كتاب ابن يعيش (ت 643هـ) المسمّى (شرح المفصل) .

هو أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن حيان القاضي الموصلّي الأصل الحلبي المولد والنشأة ، الملقّب بموفق الدين النّحوي والمعروف بابن الصانع ¹.

¹ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ت (68) هـ ، وفیات الأعيان وأنباء الزّمان ، تحقيق محمد محيي الدّین عبد الحمید ، (د . ت) ، ج 6 ، ص 45 .

ولد في حلب عام 535 هـ¹ ونشأ في بلد للمتعلمين فيه شأن ، وعند أهله رغبة في العلم، وإقبال شديد عليه ،² فدرس على أيدي مشايخ كثر، من أبرزهم : أبو السخاء³، وأبو العباس المغربي⁴ ، وأبو الفضل الطوسي⁵ .

رحل في صدر عمره من حلب قاصداً بغداد ليدرك (أبا البركات الأنباري) ، فلما وصل الموصل ، بلغه وفاته ، فأقام فيها ثم عاد إلى حلب ، وبعد عودته رحل إلى دمشق لينال شهادة الكندي ، وتحقق له ذلك ، إذ وقّع الكندي له إجازة تشهد بفضله .⁶

ولابن يعيش مصنفات كثيرة أشهرها وأهمّها " شرحه على مفصل الزّمخشري.... فهو أشبه بدائرة معارف لآراء النّحاة من بصريين وكوفيين حتى كأنه لم يترك مصنفاً لعلم من أعلامهم إلا استوعبه ، وتمثّل كل ما فيه من آراء تمثلاً منقطع النّظير"⁷.

قال عنه القفطي: " وشرح كتاب المفصل للزّمخشري ، فوصل به ما فصله ، وفرق على المستفيدين ما أجمله ، واستقى له من ركة النحو ما جم لهوبسط فيه القول بسطاً أعياء الشارحين ، وأظهر من عونه وعيونه ما فتح به باباً للمادحين "⁸ .

¹ السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ت) ، ج2 ، ص 351 .

² ابن يعيش ، شرح المفصل للزّمخشري ، تحقيق إميل بدیع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ص 18 .

³ انظر في وفيات الأعيان 6 / 45 ، بغية الوعاة 2 / 351 .

⁴ انظر في بغية الوعاة 2 / 243 .

⁵ انظر في بغية الوعاة 2 / 51 .

⁶ انظر في شرح المفصل ، ص 26 - ص 28 .

⁷ الضيف ، شوقي ، المدارس النّحوية ، دار المعارف ، مصر ، 1968 ، ص 128 .

⁸ إنباه الرواة 46/4

وقال فيه أيضا : " لو رآه الخوارزمي المدعوّ بـ (صدر الأفاضل) لما تعرّض لشرحه فشرحه، وما ملحه ، فتغير في يده ، وتمزقت شرحه أوصاله ، لمّا عجز عمّا قصد إليه ، وأراد أن يعرب فأعجم " ¹.

أمّا منهجه في شرح المفصل فلم يخرج به عن الدائرة التي رسمها الزّمخشري لكتابه ، إذ قسم الزّمخشري كتابه إلى أربعة أقسام : أما القسم الأول فهو للأسماء ، والثاني للأفعال ، والثالث للحروف ، والأخير للمشارك .

فتبع ابن يعيش تقسيم الزّمخشري ومنهجه ، إذ رأى أن حصر الأبواب النحوية على هذا النمط تحت أقسام أربعة أمر يسهل معه حفظ الكتاب ودرسه ، كما أن هذا التقسيم يسهل على الناظر فيه تتبع المدرسة النحوية في الباب المخصص. ²

قال ابن يعيش : " إنما قسمه هذه القسمة ليسهل على الطالب حفظه وعلى الناظر فيه وجدان ما يرومه ، ويجري ذلك مجرى الأبواب المدبرة " ³.

وعدّ هذا الكتاب مرجعا هاما في دراستنا لما وجدنا فيه من إشارات لكثير من القضايا المتعلقة بدلالة الفعل المضارع الزمنية في القسمين الثاني والثالث من الكتاب ، إذ وضّح العلاقة بين الفعل والزمن ، كما أشار إلى القرائن اللفظية التي تقترب بالأفعال والدلالات الناجمة عن ذلك ، وأشار إلى زمن المصدر ، وفرّق بين زمن الفعل وزمن المصدر فزمن الفعل متعيّن برأيه ، أما زمان المصدر فهو غير متعيّن ، كما أشار إلى تأثير تقسيمات الفعل

¹ المرجع السابق ص 47 .

² شرح المفصل ، ص 86

³ شرح المفصل 1 / 17

بالزمن الفلسفي بإشارته إلى حركات الفلك وربطها بأزمنة الأفعال الماضي والمضارع والأمر... وغيرها من الفروع والقضايا.

2. كتاب ابن هشام (ت 761 هـ) المسمى (مغني اللبيب عن كتب الأعراب).

هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الحنبلي المصري النحوي الشهير بابن هشام¹.

ولد بالقاهرة في ذي القعدة من عام 708هـ ، اشتغل منذ نشأته بالعربية ، وتوافر على دراستها حتى أتقنها وبرز فيها، ودرس معظم علوم عصره من نحو وصرف وفقه وقراءة وتفسير وأدب ولغة على أيدي شيوخها في ذلك العصر متخذاً الصبر والمثابرة شعاراً ، وبعد تضلعه من هذه العلوم انتقل إلى التدريس فدرس علوم العربية في مصر ومكة، ومن ثم أصبح مدرساً لعلم التفسير بالقبة المنصورية في القاهرة ، ثم انتقل إلى المذهب الحنبلي قبل وفاته بخمس سنوات لينال منصب معلم بالمدرسة الحنبلية بالقاهرة².

قال عنه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه : " لقد انفرد ابن هشام بالفوائد الغريبة ، والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط ، والاقتدار على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن من التعبير عن مقصوده بما يريد ، مسهباً وموجزاً ، مع التواضع والبر ، والشفقة ودمائة الخلق ، ورقة القلب "³ .

¹ بغية الوعاة / 2 - 68 - 69 .

² ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق مازن مبارك وسعيد الأفغاني ، دار الفكر ، (دت) ، ج 1 ، ص 9.

³ العسقلاني ، ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، 1993 ، ج 2 ، ص 415 - ص 416 .

وقال عنه المؤرخ العلامة ابن خلدون : " مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية ، يقال له ابن هشام ، أنحى من سيبويه " ¹، وقال عنه أيضا : " وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل الصناعة العربية من أهل مصر ، يعرف بابن هشام ، ظهر من كلامه أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلاّ لسيبويه وابن جني وأهل طبقتهم ، لعظم ملكته ، وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتقاريعه ، وحسن تصرفه فيه ، ودل على أن الفضل ليس منحصراً في المتقدمين " ².

وتقف مؤلفات ابن هشام في مكتبة اللغة والنحو شاهدة على مكانته وفضله ، ومنها :
(اعتراض الشرط على الشرط)، و(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، و(مجيب النداء في شرح قطر الندى) ، و(تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد) ، و(الجامع الصغير في النحو) ، و(شرح جمل الزجاجي) ، و(مغني اللبيب عن كتب الأعراب)، و(نزهة الطرف في علم الصرف) ... وغيرها. ³

تتلمذ ابن هشام على شيوخ عصره ومنهم : الشيخ تاج الدين عمر بن علي الفاكهاني (ت734هـ) ، وأبو حيان النحوي(ت745هـ) ، و الشيخ تاج الدين علي بن عبد الله التبريزي (ت746هـ) ، كما تتلمذ على يديه خلق كثير ، ومن أبرزهم :علي بن أبي بكر أحمد بن البالسي (ت767هـ) ، وجمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري (ت786هـ). ⁴

¹ بغية الوعاة 2 / 69 .

² مقدمة ابن خلدون ص 587 - ص588 .

³ بغية الوعاة / 2 - 69 .

⁴ مغني اللبيب عن كتب الأعراب 1 / 8 - 9.

انتهج المؤلف فيه منهجاً فريداً في نوعه ، إذ نراه قد قسّمه قسمين كبيرين : أما الأول فخصه بالمفردات والأدوات ، وفيه أخذ يوضّح وظائفها وطرق استخدامه لها ، مع عرض لجميع الآراء المتصلة، ومن هذا القسم أفدنا في فكرة الجهة الزمنية دلالات الفعل المضارع الزمنية المتحولة عن دلالاته الأصلية الناجمة عن القرائن اللفظية .

والثاني تحدث فيه عن الجملة وأقسامها المتنوعة وأحكامهما، والظرف والجار والمجرور وأحكامهما ، وما يكثر دوره في الكلام ويقبح جهله ، والأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها ، كما حذّر من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها .

وقد وضّح منهجه بقوله : " ووضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام وترصيف، وتتبع فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها ، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها، وأغلاطاً وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنبتت عليها وأصلحتها"¹ .

وتميّز مغني اللبيب عن غيره بالإحاطة بأطراف الموضوعات النحوية إحاطة لم تدع شيئاً دون أن تنصّ عليه وتبينه ، والتعمق في بحث المسائل وتقليبها على جميع وجوهها ، ودعمها بالأدلة والبراهين ، والإفاضة في الشواهد العربية الصحيحة التي تؤيد ما ذهب إليه ، وبسط القول في آراء النحاة، وتمحيص الصواب من بينها وتعقيبه عليها بتبيان رأيه فيها ، أو انحيازها لواحد منها.²

¹ مغني اللبيب ، 1 / 29 .

² ضبع ، يوسف ، ابن هشام وأثره في النحو العربي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1998 ، ص 99 .

ثانيا : كتب النحو الحديثة ، ومنها :

1. كتاب السامرائي (1966م) ، (الفعل زمانه وأبنيته) .

مما لا شك فيه أنّ محاور هذا الكتاب تتجلى في تسميته ؛فهو يقوم على محورين أساسيين: الأول (نحوي) متعلق بعلاقة الفعل والزمن ، والقضايا المتعلقة بهما من تقسيمات الفعل وتسمياته ودلالاته وغيرها وهو الجزء المتعلق بدراستنا ، والثاني صرفي متعلق بأبنية الفعل .

وقد ناقش السامرائي في المحور الأول من كتابه هذا قضية أساسية من قضايا النحو العربي وهي قضية الفعل وزمنه ؛فالفعل ركن مهم في بناء الجملة العربية .¹

والجملة العربية إسنادية ، والفعل طرف في الإسناد إلا أنّ القدماء لم يبحثوا في الفعل بوصفه طرفا بالإسناد ، وإنما انصب اهتمامهم به من ناحية قضية العامل وأنه أقوى العوامل.

أمّا المحدثون فينكرون هذه النظرة القديمة ،ويرون الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة ومنهم السامرائي الذي ناقش آراء القدماء ونظرتهم وآراء المحدثين ونظرتهم، كاشفا عن نضج الفعل العربي وقدرته على استيعاب دقائق الزمن في السياقات المختلفة .

¹ السامرائي ، إبراهيم ، الفعل زمانه وأبنيته ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1996 ، ص15

كما أنّه ناقش تقسيمات الفعل العربي وتسمياته ، وقارن بين الفعل والاسم ، كما أنّه تحدث عن الأفعال الناقصة ووظيفتها ودلالاتها ¹.

وبعد ذلك انتقل إلى الجانب الصرفي موضحاً أبنية الفعل الثلاثي، وطريقة بناء الفعل الرباعي في العامية... وغيرها .

2 . السامرائي (1973) ، في كتابه تنمية اللغة في العصر الحديث .

يوضّح لنا السامرائي مقصده من تنمية اللغة في كتابه (تنمية اللغة) " فهي جعل العربية أوفر مادة ، وذلك شيء يتطلب التطور الذي يعرض لكثير من ألوان النشاط الإنساني ².

فما يسعى إليه السامرائي هو تطوير اللغة لتكون العربية لغة الناس فترتفع عن مستويات اللهجات الإقليمية ، وتوحيد قضيتي الترجمة والتعريب وتيسيرهما ، كما يسعى إلى تسهيل اللغة وتيسيرها ، وذلك بتيسير أبنيتها ورسم أصواتها، كما تهدف إلى تيسير نحو العربية بتشكيل نحو جديد يقوم على النحو القديم فهو مستخلص منه بنقده إياه .

كما عالج هذا الكتاب قضايا عديدة منها : قضية المصطلحات العلمية ، وضرورة توحيدها ؛ فاللغة العربية ليست بدائية فهي لغة حية تملك من الوسائل اللغوية ما يجعلها لغة العلم والمعرفة ، كما خاض في قضية نشأة النحو وتطوره ، وبعد ذلك ناقش قضية الفعل والزمن .

¹ المرجع السابق ص 16 - ص 81.

² انظر في السامرائي ، إبراهيم ، تنمية اللغة ، 1973 م ، المقدمة .

وقد تناول تقسيمات الفعل عند الكوفيين والبصريين ونقدها من وجهة نظر حديثة تتبع المدرسة الوصفية اللسانية ، كما ناقش قضية الزمن اللغوي ، وهل هو حكر على الأفعال؟ ومدى ارتباط كل فعل بدلالته الزمنية المقترن بها حسب تعريفات القدماء¹.

كما أشار إلى مفهوم الجهة في فكرة الزمن بمناقشة بعض القرائن اللفظية مثل (قد ، ولم ... وغيرها) التي تتصل بالأفعال فتوجه الفعل إلى دلالة زمنية مختلفة عن دلالاته الأصلية .

كما تطرّق إلى الأفعال الناقصة ومعانيها ، وأشار إلى دلالتها إشارة غير مفصلة ، كما ناقش دلالات الفعل في سياقات مختلفة في أساليب المدح والذم والتعجب².

3 . المطّلبي (1986)، في كتابه (الزمن واللغة) .

بيّن المطّلبي علاقة المعنى بالزمن، سواء أكان ذلك على صعيد المعنى في المعجم ، أم على صعيد معنى الصيغة المفردة، أم على صعيد الدلالة التحويلية، كما أنّه وقف أمام شبكة معقدة من العلاقات والأشكال تبدأ بالمورفيمات، فالصيغ، فالمركبات بوصفها بنى لغوية صرفية من جهة، ونحوية من جهة أخرى .

افتتح المطّلبي كتابه بمناقشة مفهوم الزمن اللغوي عند علماء العربية المحدثين ، والتفريق بين نظرة المحدثين ونظرة القدماء لقضية الزمن ، وذلك قبل أن يبدأ بالقسم الأول منه والذي

¹ انظر في المرجع السابق ص 199 - ص 229 .

² انظر في المرجع السابق ص 236 - ص 247 .

كان بعنوان (الدراسة النظرية) الذي فرّق فيه بين الزمن الصرفي والزمن النحوي والزمن الدلالي ، كما وضح العلاقة بين الإعراب والزمن ، وبين دور الظروف في قضية الزمن .

أما القسم الثاني من هذا الكتاب فكان بعنوان (الدراسة التطبيقية) وتناول فيه حقول الزمن في اللغة العربية ، موضحا القرائن التي توجه الزمن، متناولا آراء القدماء والمحدثين في كل قرينة موجهها، ومستشهدا على ذلك بشواهد قرآنية .

4. كتاب حسان (1994) ، اللغة العربية معناها ومبناها .

يتضح لنا موضوع هذا الكتاب من خلال اسمه ، فموضوعه اللغة العربية الفصحى بفروع دراستها، أخذنا من كل فرع ما يراه بحاجة إلى معاودة العلاج على طريقة ناهجة المنهج الوصفي، نابعة من الدراسات اللغوية الحديثة .

والمعنى هو الموضوع الأخص في هذا الكتاب، وكيفية ارتباطه بالمبنى وذلك لأن الارتباط بين المعنى والمبنى هو اللغة بذاتها .

وما يقوم فيه الكاتب في هذا الكتاب في مناقشة كل قضية من قضاياها بأن يأتي بآراء القدماء فيطري بها في مواضع ، ويستبعدها ويستبدلها بجديد في مواضع أخرى ، أو أنه ينظم قضية معينة في باب واحد لم ينظمها القدماء وبقيت عالقة بين مفترق الكتب .

فبحث هذا الكتاب في النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي ، والمعجم الذي لا يعدّه نظاما وإنما هو قائمة من الكلمات ذات المعاني المتباينة غير المتقابلة بالضرورة،

كما كان للمعنى الاجتماعي الدلالي نصيب من هذا الكتاب المبني على فكرة المقام الذي لا يستغنى عنه عند التحليل اللغوي للمقال .

فقسّم هذا الكتاب إلى ثمانية فصول ،يسبقها تمهيد يتحدث فيه عن طابع الدراسات اللغوية القديمة ،وينقدها بطريقة حديثة ، ليأتي بعدها الفصل الأول بعنوان (الكلام واللغة) والفصل الثاني بعنوان (الأصوات) ، والفصل الثالث بعنوان (النظام الصوتي) ، والفصل الرابع بعنوان (النظام الصرفي) ، والفصل الخامس بعنوان (النظام النحوي) ، والفصل السادس بعنوان (الظواهر السياقية) ، والفصل السابع بعنوان (المعجم) ، والفصل الأخير بعنوان (الدلالة) .

وما يهمننا في دراستنا هذه الفصل الخامس من هذا الكتاب (النّظام النحوي) الذي مهّد له الكاتب بمناقشة مكونات هذا النظام ، لينتقل بعدها إلى مناقشة قضيتين رئيسيتين: الأولى بعنوان (قرائن التعليق) موضحا فيه ماهية القرائن المعنوية اللفظية ، والثانية بعنوان (الزّمن والجهة) والتي تحتها يندرج موضوع دراستنا .

فقد حصر مفهوم الزّمن اللغوي في اللغة مفرقا بينه ،وبين الزمن الفلكي والفلسفي، ومن ثم وضّح مفهوم الزّمن اللغوي بتقسيمه إلى: زمن صرفي تتدرج تحته الصيغة المفردة ،وزمن نحوي مجاله السياق ، ولعله أول من فرّق بين هذين المفهومين ، وأول من أشار إلى هاتين التّسميتين الحديثتين .

كما قسم أزمنة اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام رئيسة : وهي (الماضي والمضارع والأمر) وبين مدى تقيد كل زمن من هذه الأزمنة بالجهة الزمنية التي تفرز لنا الأزمنة الفرعية البينية الدقيقة، فلا ترتبط بصيغة بعينها في السياق .

كما وضح تفاعل الجهة الزمنية في أنماط الجملة العربية المختلفة الإنشائية ، والخبرية المثبتة منها والمؤكددة والمنفية عن طريق القرائن الزمنية، كما وضح القرائن التي تعين على زمن المصدر، وكذلك زمن الصفة ، وفرق بين الجهات المخصصة للزمن، والجهات المخصصة للحدث والجهات المخصصة لعلاقة الإسناد.

ويعد كتاب اللغة العربية مرجعا أساسيا لا يمكن التخلي عنه عند البحث في موضوع الزمن اللغوي ودلالاته ؛ إذ إنه مرجع أساس في معظم الكتب والدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع في حدود معرفتي .

5. رشيد (2008) ، في كتابه (الزمن النحوي في اللغة العربية) .

بين أهمية الزمن ودوره في اللغة وتدخله في هيكلتها وأبوابها النحوية، كما فرق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي، مبيّنا فروق الدلالات الزمنية في كل منها، فضلاً عن محاولته لتوضيح مفهوم الجهة في فكرة الزمن ، وإشارته إلى القرائن التي توجهه .

يعدّ كتاب الزمن النحوي لكمال رشيد من الكتب المهمة التي رجعنا إليها في دراستنا ؛ إذ إنّه تناول موضوع الزمن اللغوي من جميع جوانبه.

فقد كان في كل مسألة يتناولها في كتابه يأتي بآراء القدماء والمحدثين ،عاقدا المقارنة مرجحا رأيا على رأي، مقسما كتابه إلى ثلاثة فصول: مفتتحها بـ تمهيد وضح فيه أهمية الزمن، ودوره في اللغة العربية، وطريقة تعاظم كل من العلماء القدماء والمحدثين معه، ونظرة كل منهم إليه ، كما تحدث عن الزمن الفلسفي ،وفرق بينه وبين الزمن النحوي ؛ليبين لنا في فصول لاحقة مدى تأثير الزمن النحوي بالزمن الفلسفي .

أما الفصل الأول من هذا الكتاب فكان بعنوان (الزمن الصرفي والزمن النحوي) إذ بدأ فيه بمناقشة زمن الفعل الفرد، مبينا أقسام الفعل وتسمياته ،مناقشا الدلالات الزمنية لكل فعل من وجهة نظر حديثة ، ومن ثم انتقل إلى الزمن النحوي مبينا الدلالات الزمنية للجملة التي تتضمن صيغا فعلية أو مصدرا ،أو صفة بأنواعها سواء أكانت ،اسم فاعل ،أم اسم مفعول ،أم صيغة مبالغة، أم صفة مشبهة .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان (الزمن والجهة) ،وضح فيه مفهوم الجهة ، وبين القرائن اللفظية التي توجّه من حروف ونواسخ وظروف ،منتبعا أثر كل قرينة في الدلالات الزمنية.

أما الفصل الثالث والأخير فجاء بعنوان (الزمن النحوي في الجملة) موضّحا القرائن التي توجّه الزمن، وتحده في الجملة من أساليب الكلام العربي في الجملة الخبرية المثبتة والمؤكدّة والمنفية ،والجملة الطلبية ،وجملة الدعاء والعرض والتحضيض .

ثالثاً : كتب التفسير ، ومنها :

1. تفسير الفراء (ت 207 هـ) ، المسمى (معاني القرآن) .

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي،¹ ولد أبو زكريا الفراء سنة (144 هـ) ، في بيئة الكوفة التي كانت مهذاً للعلم ومأوى للعلماء،² وعندما كبر حنّه شيخه الرؤاسي (ت 190 هـ) على التوجّه إلى بغداد لالتماس الشهرة ، قائلاً له : " قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أميز منه" ، فرحل في طلب العلم إلى بغداد وأمضى معظم أيامه فيها .³

فكان للفراء شيوخ كثير من أبرزهم : قيس بن الربيع (ت 165 هـ) ، وأبو جعفر الرؤاسي (ت 190 هـ) ، وعلي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ) فضلاً عن يونس بن حبيب البصري ، وعن فصحاء الأعراب، كأبي الجراح، وأبي ثروان، وأبي زياد الكلابي، وغيرهم.⁴

وأما أبرز تلاميذ الفراء فهم: سلمة بن عاصم (ت 271 هـ)، ومحمد بن الجهم السمرى (ت 277 هـ)، وهما راويا كتابه (معاني القرآن) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت 244 هـ) ، وأبو جعفر محمد بن قادم (ت 251 هـ) ، وآخرون .⁵

¹ وفيات الأعيان 6 / 176 .

² الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، مطبوعات دار المأمون ، 1936 - 1938 م ، ج 20 ، ص 13.

³ الأنباري ، أبو البركات (ت 577 هـ) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط 2 ، 1970 م ، ص 65 .

⁴ البغدادي ، أبو بكر أحمد بن الفضل (ت 463 هـ) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى نهاية 463 هـ ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) ، ج 14 ، ص 149 .

⁵ المرجع السابق 14 / 150 .

ويعدّ الفراء من أعلام الكوفيين في سعة علمه، فها هو ثمامة بن الأشرس يبين لنا مكانته بقوله : "جلست إليه ففانتشته عن اللغة فوجدته بحرا ، ففانتشته عن النحو فوجدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيها ، عارفاً باختلاف القوم، وبالنجوم ماهراً ، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً"¹.

ويقول هناد بن السريّ : "كان الفراء يطوف معنا على الشيوخ ، فما رأيناه أثبت سوداء في بيضاء قط ، لكنه إذا مرّ له حديث فيه شيء من التفسير أو متعلق بشيء من اللغة قال الشيخ : أعدده علي ، وظننا أنه كان يحفظ ما يحتاج إليه "².

وقد نبعت ثقافة الفراء من مصادر مختلفة، أبرزها: القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب الفصحاء، شعره ونثره، على أن الفراء قد برع بعلوم العربية من لغة ونحو، فكان "النحو الفراء و الفراء أمير المؤمنين في النحو"³.

ومما يؤكد رسوخ مكانة الفراء في العربية ما قاله ثعلب: " لولا الفراء لما كانت العربية ؛لأنه خلصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية ؛ لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ، ويتكلم الناس فيها مقادير عقولهم وقرائحهم فنذهب "⁴

وتقف مؤلفات الفراء شاهدة على ما ذكرناه، و منها: (آلة الكاتب)، و(الأيام والليالي) و(البهاء) أو (البهي) ، و(الجمع والتنثنية في القرائن) ، و(الحدود) ، و(حروف المعجم)، و

¹ وفيات الأعيان 6 / 176 - 182 .

² تاريخ بغداد 14 / 152

³ تاريخ بغداد 14 / 150 .

⁴ الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ) ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار ، (د. ت) ، ج 1 ، ص 9

المذكر والمؤنث) ، و (معاني القرآن) ... وغيرها .¹ وما يهمننا من هذه الكتب كتابه في التفسير (معاني القرآن) والذي أفدنا منه في دراستنا .

وما يتميز به هذا التفسير عن غيره نابع من تميز صاحبه، فكان حاضرا في تفسيره ف" أثبت علو كعب صاحبه في اللغة، ورسوخ قدمه في القراءة ، ونبوغ فكره في تأصيل النحو الكوفي وشرح نظرياته ..إلى غير ذلك من المزايا التي جعلته بحق في مقدمة الكتب التي ألقت تحت هذا العنوان وإن عظم هدف الجميع " ².

أما طريقة الفراء في تفسيره فمسارها اللغة ، إذ كان يتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية ، فأفدنا من حديثه عن بعض القرائن اللفظية في بعض مباحثه.

2. تفسير الزمخشري (ت 538 هـ) المسمى (الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي³

¹ معجم الأدباء 20 / 12 - 14

² عبد الكريم ، صبحي عبد الحميد محمد ، اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط1 ، 1986م، ص17.

³ معجم الأدباء 19 / 29.

الإمام العلامة اللغوي المفسر أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الملقب ب(جار الله) لأنه جاور بيت الله الحرام بمكة زماناً ، وهو صاحب الكشاف¹.

ولد الزمخشري سنة 467هـ في خوارزم التي وصف أهلها بأنهم أهل علم وفقه وقرآن وأدب² ، وكان الاعتزال هو العقيدة السائدة فيهم ، فلا نكاد نجد خوارزمياً غير معتزلي³ ، ومنهم الزمخشري الذي كان قوياً في مذهبه مجاهراً به واسع العلم فيه⁴.

درس في زمخشري ، ثم ارتحل إلى بخارى ، وورد على بغداد ، فسمع من مشايخ كثيرين ، الأمر الذي جعله بارزاً في أكثر من علم ، فكان نحويًا فاصلاً ، سمع الحديث وتفقه وصار إمام عصره⁵.

والشاهد على ذلك ما خلفه لنا من نتاج علمي في مكتبة اللغة والنحو والأمثال والتفسير وغريب الحديث والعروض وغيرها ، ومن أبرز مؤلفاته : (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، و(أساس البلاغة) ، و(أطواق الذهب) ، و(أعجب العجب في شرح لامية العرب) ، و(كتاب الأمكنة والجبال والمياه) ، و(الأنموذج في

¹ السيوطي ، جلال الدين ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د . ت) ، ج2 ، ص 280 .

² المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة ليدن ، مطبعة بريل ، 1959م ، ص284.

³ الحوفي ، أحمد محمد ، الزمخشري، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط2 ، 1966 ، ص 25.

المعتزلة: هي فرقة من الفرق الدينية الإسلامية ، التي ظهرت في العصر الأموي ، وتنسب في نشأتها إلى واصل بن عطاء ، أحد تلاميذ الحسن البصري ، الذي وسع هو وزميله عمرو بن عبيد ، مجال القدرية ، ونقلها إلى مرحلة جديدة ، فأسس ما يعرف بالمعتزلة .

⁴ بغية الوعاة ، 2 / 279 .

⁵ وفيات الأعيان 4 / 255 .

(النحو) ، و(تعليم المبتدى وإرشاد المقتدي) ، و(شافى العي في شرح كلام الإمام الشافعى) ،
و(القسطاس في العروض القصيدة البعوضية) ، و (المفرد والمؤلف في النحو) ، و(المفصل
في علم العربية) ، و(مقامات الزمخشري) ، و(مقدمة الأدب في اللغة) ، و (نوابغ الكلم) ، و(ديوان الزمخشري)¹.

قال فيه ياقوت الحموي : " كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ،
كبير الفضل ، متفننا في علوم شتى "²، كما قال فيه القفطي : " كان رحمه الله يضرب به
المثل في علم الأدب والنحو واللغة ، لقي الأفاضل والأكابر ، وصنف التصانيف في
التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك "³.

وكان أبو مضر الأصفهاني (ت507هـ) الملقب بفريد العصر ووحيد الدهر في اللغة
والنحو⁴ من أشهر شيوخه ، كما تلقى عنه العلم كثيرون من أمثال أبي الحسن علي بن
محمد الخوارزمي (ت560 هـ) ، وأبي الفضل محمد بن أبي القاسم الخوارزمي (ت562هـ)
الذي أخذ عنه اللغة والإعراب ، وألف في النحو والمعاني والبيان وغير ذلك⁶.

اعتمد الزمخشري في تفسيره للقرآن الكريم على مصادر مختلفة ، فنقل عن مفسرين كثر
من أمثال : عمرو بن عبيد المعتزلي (ت144هـ) ، وأبي بكر الأصم المعتزلي (ت235هـ) ،

¹ منهج الزمخشري في تفسير القرآن من ص 50 - ص 51 .

² معجم الأدباء ، 19 / 26 .

³ القفطي ، أبو الحسن علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية للطباعة والنشر ،
القاهرة ، ط 1 ، 1995م ، ج 3 ، ص 266 .

⁴ معجم الأدباء ، 19 / 22 .

⁵ بغية الوعاة ، 2 / 350 .

⁶ معجم الأدباء ، 15 / 5 .

وعن الرّجاج في تفسيره معاني القرآن (ت311هـ) وغيرهم¹. أما علماء القراءات، فنقل عن مصحف ابن مسعود، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف أهل الشام والحجاز، وأما عن اللغويين فقد نقل عن كتاب سيبويه (ت 180 هـ) ، وعن الكامل للمبرد (ت 285هـ) ، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت 244هـ) ، وكتابي الحجة والحليبات لأبي علي الفارسي (ت 377هـ)².

أما منهج الزمخشري في تفسيره فكان منهجا عقليا فالعقل عنده يسبق السنة والإجماع والقياس ، كغيره من المعتزلة كما كان مفسرا" أثريا نقل عن كثير ممن سبقوه ، لغويا متبحرا باللغة يعرض اللفظ القرآني عرضا عرفته العرب من معاني منطقتها لأن القرآن عربي ومعانيه معاني كلام العرب"³.

ولمكانة تفسير الكشاف عدّ مرجعا أساسا لكثيرين بعده ، ومنهم النسفي (ت 710هـ) في تفسيره (مدارك التنزيل) ، و البيضاوي (ت791هـ) في تفسيره (أنوار التنزيل) ، والعمادي (ت 982 هـ) في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)⁴.

وقال فيه الدكتور محمد حسين الذهبي : " وأما قيمة هذا التفسير – بصرف النظر عما فيه من الاعتزال – هو تفسير لم يسبق مؤلفه إليه ؛ لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن ؛ ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته ، وليس كالزمخشري من

¹ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو ت (538) هـ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، 2002م ، ج1 ، ص24 .

² المرجع السابق 1 / 23 .

³ الكشاف 1 / 26 .

⁴ الذهبي ، محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة ، بيروت ، ط1 ، 1961 ، ج1 ، ص298 .

يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته ؛ لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم ؛ لاسيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب ، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة ، والبيان ، والإعراب ، والأدب ، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير (الكشاف) ثوبا جميلاً ، لفت إليه أنظار العلماء، وعلق به قلوب المفسرين¹ .

3 . تفسير الألوسي (ت 1270 هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

والسبع المثاني .

هو شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي،² ينتهي نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما ذكر هو في تفسيره، إذ قال في كلامه على النسب المعنوي والنسب الصوري: "وأنا أحمد الله تعالى كما هو أهله على أن جعلني من الفائزين بالنسبين حيث وهب لي الإيمان، وجعلني من ذرية سيد الكونين صلى الله تعالى عليه وسلم، فها أنا من جهة أم أبي من ذرية الحسن، ومن جهة أبي من ولد الحسين رضي الله عنهما:نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً"³ .

ولد في بغداد في منتصف شعبان سنة 1217 هـ لأسرة من الأسر العلمية ، إذ كان أبوه رئيساً للمدرسين في بغداد، وعن بدايته المبكرة للعلم يقول:"وأثر ما فطمت من ارتضاع الألبان، شرعت أتحسى در قراءة القرآن وبعيد ما حل عني بند قماط الطفولية، عقد على

¹ التفسير والمفسرون ، 1 / 433.

² الأعلام 7 / 176

³ الألوسي ، شهاب الدين (ت 127 هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر، 1994، ج 10 ، ص 150 .

لواء حفظ المقدمة الأجرومية، وقبل أن أبلغ من تسدية ما بين الدفتين الأمنية، طويت على نول قلبي رداء حفظ الأجرومية، وفي أثناء ذلك حفظت ألفية ابن مالك، وقرأت غاية الاختصار في فقه الشافعية، وحفظت في علم الفرائض المنظومة الرحبية¹.

وقد حفظ كل هذه المتون قبل أن يبلغ الرابعة عشر من عمره، ثم واصل مسيرة تلقيه العلوم على يد كبار المشايخ والعلماء في عصره، من أبرزهم: عبد الله بن محمود الألوسي، عبد الله العمري، خالد النقشبندي²، كما اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فتتلمذ على يده كثيرون، من أمثال: عبد الرحمن الألوسي، نعمان خير الدين الألوسي، عبد الغفار الأخرس³.

أما بالنسبة لعقيدته فقد كان مطلعاً على كثير من المذاهب والأفكار والآراء التي كانت تتداول في زمانه وزمان غيره ممن سبقوه، إلا أنه كان سلفي الاعتقاد⁴.

وله مؤلفات كثيرة تثبت تبخره بالعلم، منها: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، و(النفحات القدسية في الرد على الإمامية)، و(شرح البرهان في إطاعة السلطان) (الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب)، و(شرح القصيدة العينية)، و(نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول)، و(شجرة الأزهار ونوار الأزهار)، و(دقائق التفسير)،

¹ الألوسي، شهاب الدين (ت 127 هـ) غرائب الاغتراب، (د.ت)، ص 3.

² المصدر السابق ص 3 - ص 8.

³ الأثري، محمد بهجة، أعلام العراق، الدار العربية، بيروت، ط 1، 1422 هـ، ص 15 - ص 17.

⁴ التفسير والمفسرون 1/ 353.

و(سفرة الزاد لسفرة الجهاد) و(بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام) و(شرح سلم العروج)... وغيرها.¹

ويعدّ تفسيره هذا من أوسع التفاسير، إذ أودع فيه صاحبه جهد من سبقه من المفسرين فكان "خلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة"².

وقد امتاز صاحبه بمحاربة الإسرائيليات والتوسّع في النحو، "وكان يستطرد في عرض المسائل النحوية ويتوسّع في ذلك إلى حد يكاد يخرج به عن وصفه مفسراً"³. وتعرض الألوسي للقراءات والمناسبات وأسباب النزول، وكثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية. كما اهتم بالجانب الفقهي كما أنه لم يغفل فيه الجانب البلاغي، وأظهر انتماءه للعقيدة السلفية من خلال هذا التفسير فلم يترك فرقة مخالفة لأهل السنة والجماعة إلّا ردّها عليها.⁴

يقول الدكتور الذهبي: "وجملة القول.. فروح المعاني للعلامة الألوسي ليس إلّا موسوعة تفسيرية قيّمة، جمعت جلّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن صفاء القريحة، وهو وإن كان يستطرد إلى نواح علمية

¹ أعلام العراق، ص 33 - ص 35.

² المرجع السابق 1 / 253.

³ روح المعاني 1 / 6.

⁴ روح المعاني 1 / 5.

مختلفة، مع توسّع يكاد يخرجّه عن مهمته كمفسّر إلا أنه متزن في كل ما يتكلم فيه، مما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الإحاطة بكل ما يتكلم فيه، فجراه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.¹

الدراسات السابقة :

لم تعثر الباحثة على دراسات سابقة تتناول (الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة)، إلا أنّ هناك الكثير من الدراسات التي عُيّنت بدراسة الأفعال، وصيغها الزمنية، ودلالاتها في القرآن الكريم، ومن ذلك :

1 . درست عبد الرحمن، (2004)، في رسالتها (دلالات الفعل المضارع الزمنية

في سورتي يوسف والنحل) ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا . أزمنة الأفعال الثلاثة في العربية، وهي: الماضي، والحاضر، والمستقبل بشكل عام، ودرست بشكل دقيق استعمال الفعل المضارع للتعبير عن الزمن في السورتين الكريمتين، وهما: يوسف والنحل؛ وذلك لمعرفة ارتباط أبنية الفعل المضارع بأزمنة معينة؛ لينظر مدى التزام المضارع بزمنه الطبيعي المعروف وهو دلالاته على الحال، والاستقبال، وإمكانية خروجه إلى أزمنة أخرى منها الماضي، وغيره.

كما حاولت الباحثة رصد العوامل التي تؤثر على تغير تلك الأزمنة للكشف عن وجوه الاختلاف والاتفاق في طبيعة دلالات المضارع في القرآن الكريم، ولذلك فقد استفادت الباحثة من المنهج الاستقرائي الوصفي في تتبع أزمنة الفعل في اللغة العربية، كما اتبعت

¹ التفسير والمفسرون 1/ 354 .

المنهج التحليلي في دراستها لاستعمال المضارع بوصفها أداة للتعبير عن الزمن في سورتي يوسف والنحل.

وقد توصلت الباحثة إلى نتائج هامة منها أن السياق يؤدي دورا مهما في تعيين زمن المضارع، أي أن زمن الفعل يحدده السياق، لا الصيغة، كما وجدت أن الأدوات أيضا تساعدنا على تفهم الجملة النحوية، خاصة الظاهرة الزمنية للفعل، وهي من الزوائد التي تخلص الحدث إلى زمن ما وترشحه له.

إلا أنّ الباحثة لم تبحث في تأثير الجهات الزمنية الناجمة عن ارتباط الأفعال بالقرائن في الوصول إلى الأزمنة البينية الدقيقة المتعلقة بالبعد والقرب والانقطاع والاتصال ... وغيرها .

2 . قام عبد الرحمن (2005) ، في رسالته (الفعل المضارع في سورة آل عمران) دراسة صرفية ونحوية تطبيقية . رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا . بدراسة الأفعال المضارعة الواردة في سورة آل عمران من الناحيتين الصرفية والنحوية .

أمّا من الناحية الصرفية فدرس بنية الفعل المضارع وصياغته من الثلاثي والرباعي، المجرد والمزيد المعلوم والمجهول، المثبت والمنفي، الصحيح والمعتل .

وأمّا من الناحية النحوية فدرس علامات الفعل المضارع ، وأحكامه الإعرابية ، وسببه ، وأوجهه الإعرابية من المرفوعات والمنصوبات والمجزومات ، ودلالاته الزمنية في سياق سورة آل عمران .

وتوصّل إلى عدّة أحكام ، منها : جواز حذف إحدى التاءين في القرآن الكريم كراهة اجتماع المثليين في صدر الكلمة ، وجواز إبدال تاء الافتعال بعد الذال (دالا) ، وجواز تأكيد الفعل المضارع بغير النون .

وأما الناحية النحوية فتوصل إلى أن للفعل المضارع دلالات متعددة في السياقات اللغوية المختلفة ، فدلّ المضارع في سورة آل عمران على الحال و الاستقبال و الاستمرار ، إلا أنه لم يبحث في زمن الفعل المضارع ودلالاته بحثاً مفصلاً وإنما عرّج عليه في نهاية رسالته .
وأوصى الباحث في نهاية بحثه بضرورة اختيار القرآن الكريم لدراسة القضايا الصرفية والنحوية ، لكونه مرجعاً أساساً في اللغة العربية .

3 . أشارت كريم (2014)، في رسالتها (الفعل العربي وصيغه الزمنية في جزء عم) .

رسالة ماجستير، جامعة القسطنطينية، الجمهورية الجزائرية. إلى بناء الصيغ الزمنية للأفعال ودلالاتها في سياقات مختلفة من جزء عمّ .

فدرست الباحثة الصيغ الزمنية الثلاث (فعل ، يفعل ، افعل) وبحثت في تأثيرات اللواحق من سوابق ولواحق وأدوات وسياق ومقام في توجيه دلالتها الزمنية ، وتحولها عن دلالتها الأصلية المقترنة حسب تقسيمات القدماء .

إلا أنها لم توسع الدرس في الفعل المضارع ، كما أنها انحصرت بدلالاته الواردة في سياق جزء عمّ .

ما يميّز هذه الدراسة :

تبحث هذه الدراسة في الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سياقات لغوية لم يسبق البحث فيها، ضمن سورة التوبة المزدحمة بالأحداث المعبر عنها بأشكال لغوية عدّة، كان من أبرزها الفعل المضارع.

فتبحث هذه الدراسة في ميدان غني بالفعل المضارع ، لم تعثر الباحثة على دراسات سابقة درست فيه من جانب الكشف عن دلالات زمنية ، مختلفة للفعل المضارع في سورة التوبة بشكل متحول عن الأصل ،أو باختلاف بيني ناجم عن الجهة الزمنية المحددة لذلك.

كما درست دور كل من القرائن اللفظية والحالية في تحديد الدلالات الزمنية للفعل المضارع، ضمن سياق سورة التوبة محاولة تحديدهما .

إلا أنّ هذه الدراسة أفادت، وستستفيد من الدراسات السابقة، وغيرها في عملية التحليل، واستنباط النتائج، والمنهجية التي اتبعتها تلك الدراسات، والإجراءات التي اعتمدتها، ممّا سيسهّل على الباحثة الوصول إلى نتائج مفيدة بإذن الله .

الزّمن اللغوي والزّمن الفلسفي.

مما لا شكّ فيه أنّ قضية الزمن من القضايا التي بحثها القدماء بحثاً موسّعاً ودقيقاً ، فهي قضية لغوية أساسية في التشكيل اللغوي ، فجاء التقسيم الثلاثي للكلام متأثراً بفكرة الزمن ، وكذلك تقسيم الجملة العربية إلى اسمية وفعلية مرتبط بفكرة الزمن، والاختلاف في قضية الاشتقاق خضع لفكرة الزّمن وغيرها من القضايا ¹.

إلاّ أنّ النّحاة القدماء لم يبوّأوا هذه القضية تحت باب من أبواب علوم اللغة، وإنما بقيت مشتتة بين بطون الكتب على هيئة إشارات وشذرات.

أما علماء اللغة المحدثون فقد درسوا قضية الزمن دراسة مستقلة مستفيدين مما تركه القدماء " متخفّين من جانب الشكل ومغلّبين جانب المعنى " ².

ولا بدّ لنا قبل أن نوضح مفهوم الزّمن عند النّحاة والبلاغيين وأهل اللغة (الزّمن اللغوي) أن نفرق بينه وبين الزّمن عند الفلاسفة والمناطقّة والإنسان العادي (الزّمن الفلسفي)، لتضح لنا عملية التّأثير والتأثير بين المفهومين فيما بعد.

¹ رشيد، كمال، الزّمن التّحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، عمان - الأردن، 2008، ص9.

² المرجع السابق، ص11.

مما لا شكّ فيه أنّ الزمن هو " آلة لقياس الإنسان لخبراته وتجاريه " ¹ متمثل بتبدل الليل والنهار، وتعاقب السنين، ويقاس بأبعاد ووحدات قياسية مصطلح عليها في السلم الزمني، كالدقيقة والساعة واليوم والشهر والسنة وغير ذلك. ²

أما الفلاسفة المسلمون فقد عرّفوا الزمن بأنه حركة الليل والنهار، وقد أشار إليه القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: " فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " ³.

وقد تعددت في اللغة الألفاظ الدالة على الزمن، فهو الزمان، والدهر، والحين، والأمد والأزل، والسرمد، وهو الذي يقسمه الإنسان إلى ماض وحاضر ومستقبل، فالزمن الفلسفي زمن معجمي . ⁴

أمّا الزمن اللغوي فإنه لا يعتمد على العدّ والقياس ولا على المعاني المعجمية ، إنما يعتمد على التركيب اللغوي للجملة المكتوبة أو المنطوقة ، فهو وظيفي لا يكون إلا من خلال الاستعمال . ⁵

¹ المطلبي، مالك يوسف، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1986، ص10.

² اللغة العربية معناها ومبناها، ص214.

³ الأنعام : 96.

⁴ الزمن النحوي في اللغة العربية، ص11.

⁵ المرجع السابق ص11.

ثانياً: الزّمن الصّرفي والزّمن النّحوي.

ذكر الدكتور مهدي المخزومي أنّ الزّمن اللغوي هو "صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة، ترتبط ارتباطاً كلياً بالعلاقات الزّمنية عند المتكلم"¹.

ومن الواضح أنّ هذا التعريف لا يخلو من العموم الأمر الذي دفع تمام حسان إلى تحديد مفهوم الزمن اللغوي من خلال تفريقه بين الزّمن الصّرفي والزّمن ، ولعل هاتان التسميتان الحديثتان كان تمام حسان أول من أشار إليهما وحدد مفهومهما في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها.²

إنّ الزّمن الصّرفي هو الزّمن القطعي للفعل المستقل، وهو قطعي بفضل صيغته فهو "وظيفة الصيغة الفعلية المفردة (خارج السياق)"³، أمّا الزّمن النّحوي فهو زمن غير قطعي لأنه لا يكون إلا (داخل السياق) فلا يستقل عن سياقه فهو "وظيفة يؤديها الفعل في السياق"⁴.

¹ المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1986م ، ص11.

² اللغة العربية معناها ومبناها، ص241 .

³ المرجع السابق ص242 .

⁴ المرجع السابق ص242 .

الفعل عند القدماء

أولاً : الفعل عند البصريين .

قسم الفعل عند جمهور البصريين إلى : الماضي والمضارع والأمر ، وصيغها

(فعل، يفعل ، افعل) كما هو مبين في الجدول الآتي :

الفعل عند البصريين			
أقسام هـ	الماضي	المضارع	الأمر
صيغته	فعل	يفعل	افعل
زمنه	الماضي	الحال أو الاستقبال	الحال أو الاستقبال

ولا بدّ لنا أن نشير إلى أنّ أساس تقسيمات الفعل عند الكوفيين والبصريين

على حد سواء جاء متأثراً بمفهوم الزمن الفلسفي.

يوضح ابن السراج أقسام الفعل بقوله: " الفعل ما دلّ على معنى وزمان، وذلك

الزمان إما ماضٍ وإما حاضر وإما مستقبل " ¹ أي أن الزمن هو أساس في تقسيمات الفعل

وهذا الزمن قسم إلى الماضي والمضارع والمستقبل بوصفه بعداً من أبعاد الزمن الفلسفي.

ويؤكد الفكرة ذاتها ابن يعيش بقوله : "ولما كانت الأفعال مساوقة للزمان ، والزمان

من مقومات الأفعال،توجد عند وجوده، وتعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان

¹ ابن السراج ، أبو بكر ، الأصول في النحو ،تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، 1973 ، ج 1 ، ص41 .

الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية، كانت الأفعال كذلك ماض ومستقبل وحاضر " 1 .

ويتبين لنا مما سبق أن المدرسة البصرية اعتمدت على فكرة الزمن في تقسيماتها للفعل وتسمياتها له عاملا مساعدا لعامل آخر، هو الشكل والمبنى والإعراب، فسَمي المضارع مضارعا لمضارعه للاسم، وسَمي الأمر أمرا لأن صيغته ترد في مقام الأمر، أما الفعل الماضي فتسميته زمنية بحته، فسَمي ماضيا اعتمادا على زمنه بشكل أساس ولذلك فهو يشترك مع المدرسة الكوفية في تسميته .

ثانيا :الفعل عند الكوفيين.

قسّم الفعل عند جمهور الكوفيين إلى: الماضي والحاضر والدائم، وصيغها (فعل، يفعل، فاعل) كما هو مبين في الجدول الآتي:

الفعل عند الكوفيين			
أقسامه	الماضي	الحاضر	الدائم
صيغته	فعل	يفعل	فاعل
زمنه	الماضي	الحال	المستمر

¹ ابن يعيش ، موفق الدين ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د، ت) ، ج7، ص4.

يتفق الكوفيون مع البصريين على صيغتي (فعل، يفعل)، ولكنهم يختلفون معهم في صيغة (افعل) التي استبدلوها بصيغة (فاعل)؛ فالفعل عند جمهور الكوفيين : ماض ومضارع، فقد أسقطوا فعل الأمر المعبر عنه بصيغة (افعل)، لأنهم اعتبروه مقتطعا من المضارع، فيقول الأزهري: "الفعل جنس تحته ثلاثة أنواع عند جمهور البصريين، ونوعان عند الكوفيين والأخفش، بإسقاط الأمر بناء على أن أصله مضارع"¹ وقد اشترط الفراء في صيغة (فاعل) أن تكون عاملة لتكون فعلا دائما².

ومن الملاحظ أن المدرسة الكوفية اعتمدت في تقسيماتها للفعل وتسمياتها لها على أساس فكرة الزمن بشكل حصري، فلما كان الزمان ماضيا وحالا واستقبالا فكذلك الفعل ماض وحال ودائم وذلك لأنّ الفعل عندهم كفيل بالدلالة على الزمن³. وأسقطوا فعل الأمر لأنه لم يقع في زمن معين، ولا دليل على وقوعه في المستقبل إنما هو صيغة طلب قد يتحقق وقد لا يتحقق كما أنه من الناحية الشكلية مقتطع من المضارع.

الفعل عند المحدثين

لم يأت المحدثون جديدا في أقسام الفعل وتسمياته، وإنما رجّحوا رأيا على رأي :

إذ رأى تمام حسان أن "النّحاة العرب على حق في تسميتهم المضارع مضارعا، لأنّ هذه التسمية ذات دلالة شكلية لا زمانية، فهم يقولون أنما سمي المضارع مضارعا لمضارعة المشتق من حيث إعرابه وشكله ولو جرت التسمية في الماضي والأمر على هذا النمط

¹ الأزهري ، خالد عبد الله ، شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك ، تحقيق عيسى البابي الحلبي ، (د،ت) ، ج1 ، ص44 .

² الفراء ، معاني القرآن الكريم ، تحقيق محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ج1 ، ص45 .

³ الزمن النحوي في اللغة العربية، ص12.

لخلت اصطلاحات الزمن في اللغة العربية من عدوى التفكير في الزمان وكان اللاحقون من النحاة أقدر على تخليص النحو من برائن الفلسفة " ¹ بحسب رأيه .

ويبدو من هذا القول أنه يوافق البصريين، ولكن البصريين لم يكن لهم معيار ثابت في تقسيماتهم هذه، فما انطبق على الفعل المضارع، لم ينطبق على الفعل الماضي، وفعل الأمر كما ذكرنا سابقا.

أما إبراهيم السامرائي فيرى أن "الكوفيين أشدّ اتصالا بالعلم اللغوي من خصومهم البصريين في تقسيم الفعل، فقد قسموا الفعل باعتبار دلالاته الزمنية إلى ماضٍ ومستقبل ودائم" ² ولذلك فإنه يراهم " على حقّ في إبعاد الأمر أن يكون قسيما للماضي والمضارع والمستقبل، وذلك لأن الأمر طلب، وهو حدث كسائر الأفعال، غير أنّ دلالاته الزمنية غير واضحة، ذلك أنّ الحدث في هذا " الطلب " غير واقع إلا بعد زمان التكلم، وربما لم يترتب على هذا الطلب أن يقع حدث من الأحداث" ³ .

ومن الواضح من قول السامرائي أنه يوافق الكوفيين ، لأنهم اعتمدوا معيارا ثابتا في تقسيماتهم هذه وهو معيار الزمن ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل الزمن ثابت في حالة الأفراد وفي السياق ؟

ويجيب عن هذا التساؤل السامرائي نفسه ، إذ يرى : "أنّ الصعوبة في هذا الأمر أنّ أبنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان كما تشير مصطلحاتها ... فالفعل في الاستعمال

¹ حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط2، 1974، ص212 .

² تنمية اللغة ، ص203.

³ السامرائي ، إبراهيم ، الفعل زمانه وأبنيته ، مؤسسة الرسالة، ط3، 1983م، ص23.

تهيأ له أن يجري في طريق آخر، فقد يشار ببناء فعل إلى غير الزمن الماضي، كما يشار ببناء يفعل وفاعل إلى دقائق زمنية واضحة"¹.

"على أننا يجب أن نشير إشارة عامة إلى أن الفعل ثلاثة : ماض وحال ومستقبل، وأننا نستطيع أن نقرر أن صيغة (فعل) وإن دلت دلالات عدة في الإعراب على الزمان، فهي في أغلب الأحوال تدل على حدث أنجز وتم في زمن ماض، وأن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال والمستقبل، وإن ذهب في الاستعمال مذاهب أخرى "².

إذا فهو يتوافق معهم من الناحية الصرفية (أي في حالة الأفراد) ، أما من الناحية النحوية (أي في السياق) فيرى أن موافقتهم أمر تشويه الصعوبة .

أما مهدي المخزومي فيرى أن الفعل في العربية ثلاثة أقسام :³

- 1 . ما كان على مثال (فعل) وهو ما يسمّى بالفعل الماضي، وهو الذي يدل في أغلب استعمالاته على وقوع الحدث في الزمان الماضي، وله دلالات زمنية مختلفة.
- 2 . ما كان على (يفعل) وهو ما يسمّى بالفعل المضارع، وهو الذي يدل في أغلب استعمالاته على وقوع الحدث في زمن التكلم.

المرجع السابق، ص24.

² تنمية اللغة ، ص203

³ المخزومي ،مهدي ، في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط1، مصر، 1966، ص21.

3 . ما كان على مثال (فاعل) وهو ما يسميه البصريون اسم الفاعل ويسميه الكوفيون (الفعل الدائم)، وهو فعل حقيقة في معناه وفي استعمالاته، إلا أنه يدل في أكثر استعمالاته على استمرار وقوع الحدث ودوامه .

وبتضح من تقسيمات مهدي المخزومي للفعل أنه يوافق الكوفيين ، إلا أن موافقته هذه أيضا من الناحية الصرفية ، إذ نستدل من قوله (في أغلب استعمالاته) أن له استعمالات أخرى .

أما كمال رشيد فيقول: "والسؤال الذي يطرح أي المدرستين أقرب إلى الصواب وأجدر بالاتباع، والسؤال بشكل آخر، لما كان لكل فعل صيغته وزمنه، أكان جديرا أن يسمى الفعل تبعا لصيغته أم تبعا لزمناه ؟ قد يكون الجواب السريع أن الأجدر أن تكون تسمية الفعل على أساس الزمن الذي يفيد كما صنع الكوفيون ...ولكن هل تحتفظ هذه الصيغ بهذه الأزمنة دائما مفردة وفي الجملة؟ وهل تحتفظ بهذه الأزمنة في جميع الجمل ؟" ¹.

ويحاول أن يجيب عن تلك الأسئلة التي طرحها فيورد قوله تعالى: "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ"²، إذ جاء الفعل المضارع هنا يدل على الزمن الماضي ، ومعنى هذا أن الفعل " لا يحتفظ بدلالاته الزمنية داخل السياق، إن كان يحتفظ بها في حالة الإفراد " ³ .

ويقول في موضع آخر: " لقد كان بإمكان الكوفيين أن يكونوا محقّين لو احتفظت الصيغة بدلالاتها، ولو أسعفتهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العرب من شعر

¹ الزمن النحوي في اللغة العربية، ص35.

² الصمد : 3.

³ الزمن النحوي في اللغة العربية، ص36.

ونثر ، وهم الذين يعتمدون السّماع في إقامة قواعدهم، ولما كان الأمر على غير ذلك وكانت الصيغة لا تثبت على دلالتها الزمنية، كان لا بدّ أن تقوم تسمية الفعل على أساس واحد¹ .

إذن فهو يوافق الكوفيين في تسميتهم في الأفعال المفردة (صرفيا)، أما في السياق (نحويا) فلا يرى في تسمياتهم مكانا من الصحة ، وذلك لأن الزّمن غير ثابت في السياق .

وصحيح أن البصريين لم يجعلوا الزمن أساسا في تسمياتهم كالكوفيين، إلا أنهم لم يعتمدوا على أساس واحد أو معيار واحد في تسمياتهم، فسّموا المضارع مضارعا على أساس الشكل والصيغة (أي لمضارعه للاسم) ،وسّموا الأمر أمرا على أساس المعنى فهو معنى من معاني الطلب للقيام بفعل قد يتحقق في الزّمن المستقبل وقد لا يتحقق، وسمى الماضي ماضيا على أساس الزمن، إذ إنه يقع في حالة الأفراد في الزّمن الماضي وهم يوافقون بتسمية هذا الزمن الكوفيين.

وخلاصة القول إن النّحاة القدماء البصريين والكوفيين على حد سواء في تقسيماتهم للفعل وتسمياتهم له لم يفرقوا بين الزمن الصرفي والزمن النّحوي ، فالزّمن الصرفي هو الزّمن في الفعل المفرد وزمن الصيغة المفردة للفعل، فالزّمن الصرفي مجاله صيغة الفعل أمّا الزّمن النحوي فمجاله السياق ومجاله الجملة العربية بأنواعها الخبرية والإنشائية ،وتتضافر معه القرائن اللفظية من لواصق وأدوات، والقرائن المعنوية التي تضبط معنى السياق، وقرائن

حالية تعين المقام .²

¹ المرجع السابق ، ص36.

² الزّمن النّحوي في اللغة العربية، ص56

فقد نسبوا كل زمن إلى صيغة معينة دون النظر في معطيات السياق وربما كان ذلك لأن "الدلالات الزمنية في الجمل الخبرية المثبتة والمؤكدّة لا تتأثر تأثراً كبيراً بمعطيات السياق".¹

على الرغم من أنهم وجدوا صيغة (فعل) تدل على الزمن المستقبل في سياقات التحضيض أو الدعاء أو الشرط في الجمل الإنشائية، أي أنّ صيغة "فعل" تحولت من دلالاتها الزمنية التي قرنوها فيها "الزمن الماضي" إلى دلالة الفعل المضارع المقترنة فيها بحسب تعريفاتهم "الزمن المستقبل"، ولما كانت قواعدهم عزيزة على أنفسهم لم يخطر ببالهم أن يعيدوا النظر في نظام الزمن في ضوء مطالب السياق² كما يقول تمام حسان .

الأمر الذي دفع بعض المستشرقين إلى التشكيك في الفعل العربي كالمستشرق (زيجس بلاشير) الذي يرى أنّ "تصريف الفعل العربي فقير إذا ما قورن مثلاً بتصريف الفعل في اللغات الهندية الأوروبية"³، وأنّ "لمفهوم الزمان وضعاً غير متين"⁴، ويضحض هذا القول المستشرق (برجشتراسر) الذي يرى أنّه مما يزيد اللغة العربية تمييزاً عن سائر اللغات السامية "تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها، وذلك بواسطة إحداهما : اقترانها بالأدوات، نحو (قد فعل) و (قد يفعل) و (سيفعل)، وفي النفي (لا افعل) بخلاف (ما فعل) و (لن يفعل) بخلاف : (لا يفعل) و (ما يفعل)، والأخرى : تقديم فعل (كان) على اختلاف

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، ص243 .

² المرجع السابق، ص243 .

³ التطور النحوي في اللغة العربية، لبرجشتراسر، تحقيق : رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي بالقاهرة، 1402هـ - 1982م، ص36.

⁴ المرجع السابق، ص36.

صيغته، نحو (كان قد فعل) و (كان يفعل) و (سيكون قد فعل) إلى آخر ذلك، فكل هذا ينوع معاني الفعل، تنوعاً أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت، من اللغات السامية" ¹.

ويبدو أنّ (براجشتراسر) يشير بطريقة غير مباشر إلى الجهة الزمنية والتي هي "تحديد زمني جديد تفيد القرائن ² في السياق ³ كالقرب والبعد والانقطاع والاتصال والتجدد والاستمرار والبساطة والمقاربة والشروع..

أقسام الزمن عند المحدثين

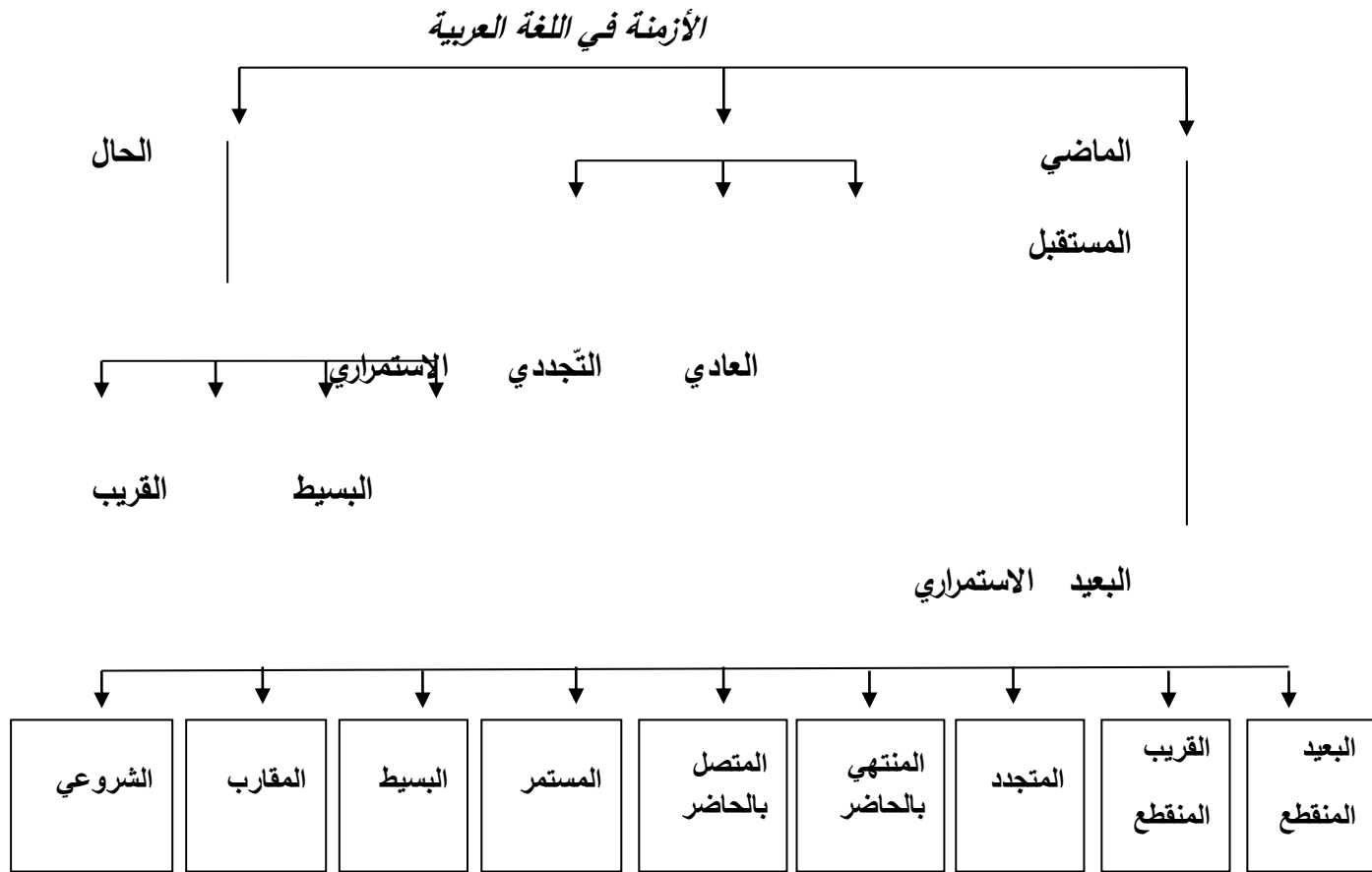
تقسم أزمنة اللغة العربية الرئيسة إلى ثلاثة أقسام وهي : (الماضي ، والحاضر ، والمستقبل) تنفرع عند اعتبار الجهة إلى ستة عشر زمناً نحوياً ⁴، كما هو موضح في المخطط الآتي:

¹ المرجع السابق ص 89.

² القرينة : هي ظاهرة لفظية أو معنوية أو حالية يتم من خلالها التوصل إلى أمن اللبس في سياقات متقاربة.

³ الزمن النحوي في اللغة العربية، ص 103.

⁴ انظر في اللغة العربية معناها ومبناها ص 241



فالزمن الماضي له تسع جهات وهي :

1. الماضي البعيد المنقطع .

2. الماضي القريب المنقطع.

3. الماضي المتجدد .

4. المنتهي بالحاضر.

5. المتصل بالحاضر.

6. الماضي المستمر.

7. الماضي البسيط.

8. الماضي المقارب.

9. الماضي الشرعي .

وأما زمن الحال فله ثلاث جهات وهي :

1. الحال العادي .

2. الحال التجديدي .

3. الحال الاستمراري .

وأما زمن الاستقبال فله أربع جهات وهي :

1. المستقبل البسيط .

2. المستقبل القريب .

3. المستقبل البعيد .

4. المستقبل الاستمراري .

ونلاحظ أنّ هذا التقسيم هو تقسيم للأزمنة وليس تقسيما للأفعال ،أو للصيغ أي

أن كل زمن من الأزمان الثلاثة غير مرتبط وملتزم بصيغة معينة مثل (فعل) أو (يفعل)

إذ يعبر عن الزمن الواحد بصيغ مختلفة تحددها الجهات الزمنية .

وتتضافر القرائن لتحديد زمن الصيغة وجهته ، وهذه القرائن هي :¹

1. قرائن لفظية :

أ . اللواصق والأدوات الحرفية : مثل (قد ، والسين ، وسوف ، ولام ونون التوكيد ، وما ، ولا ، ولم ، ولما ، ولن).

ب . والتواسخ: مثل (إن وأخواتها ، وكان وأخواتها ، وكاد وأخواتها) .

ج . الظروف الزمنية : مثل (الآن) تدل على الحاضر ، و(غدا) تدل على المستقبل.

2. قرائن حالية : وهي المعلومات الخارجية المستمدة من التاريخ والجغرافياوغيرهما .

فالدلالة الزمنية تنتوِّع من سياق إلى آخر لاعتمادها على القرائن اللفظية أو الحالية ، لأنَّ النحو هو نظام العلاقات في السياق ، فالنظام اللغوي للسياق ممثَّل "بعناصره وموقع هذه العناصر والعلاقات القائمة بينها والآثار المترتبة على هذه العلاقات من أجل إنتاج المعنى"² هو معنى الفعل في السياق ، فالزمن النحوي السياقي جزء من الظواهر الموقعية السياقية ، لأن دلالة الفعل تتوقف على موقعه ، وعلى قرينته في السياق .

¹ انظر في اللغة العربية معناها ومبناها ص242

² اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية ،ص92.

ويتهياً للفعل في السّياق ما لا يتهياً له في حالة الإفراد، وذلك لأنّ مطالب السّياق من حيث المعنى والإعراب وترتيب العلاقات النّحوية وجمال الأسلوب، فقد ترد الأحداث الماضية بصيغة المضارع، وهذه الأمور لم تتحقّق للفعل في حالة الإفراد.¹

¹ عزيز ، كوليزار كاكل ، القرينة ، ط1 ، 2009 ، ص 154-155.

الفصل الثالث : الدلالة الزمنية للفعل المضارع.

. تمهيد .

. الدلالة الأولى : الماضي المطلق .

. الدلالة الثانية : الماضي القريب من الحال .

. الدلالة الثالثة : الماضي المتجدد .

. الدلالة الرابعة : الماضي المقارب .

. الدلالة الخامسة : الحال التّجدي أو الاستمراري .

. الدلالة السادسة : المستقبل القريب .

. الدلالة السابعة : المستقبل البعيد .

. الدلالة الثامنة : المستقبل المطلق .

. الدلالة التاسعة : الزمن المطلق .

تمهيد

اختلف النّحاة القدماء في دلالة الفعل المضارع الزّمنية ، فرآها بعضهم مقتصرة على الحال ، ورآها بعضهم الآخر مقتصرة على الاستقبال ، أمّا الجمهور فرآها صالحة لكليهما ، ولا يخصّصها لأحدهما إلّا القرينة .

وقد أجمل لنا السيوطي في كتابه (همع الهوامع) آراء القدماء في الدّلالة الزّمنية للفعل المضارع في خمسة آراء :¹

أولها : أن تقتصر دلالاته الزمنية على الحال ، وذلك لأنّ المستقبل غير محقق الوجود ، وتبنّى هذا الرأي ابن الطراوة .

ثانيها : أن تقتصر دلالاته الزمنية على الاستقبال ، وذلك لأنّه لا يوجد للحال صيغة لقصره ، لأنك بقدر ما تنطق بحرف من حروف الفعل صار ماضيا ، وتبنّى هذا الرأي الرّجاج ، وردّ على هذا الرأي بأنّ المراد بالحال (الماضي غير المنقطع) لا (الآن) الفاصل بين الماضي والمستقبل .

ثالثها : أنّه يدلّ زمنيا على الحال والاستقبال ، وذلك لأنّ إطلاقه على كل منهما ، لا يتوقف

على مسوغ ، بخلاف إطلاقه على الماضي فإنه مجاز لتوقفه على مسوغ . والمقصود بالمسوغ هنا (النّفي) . وهذا هو رأي سيبويه والجمهور .

¹ همع الهوامع ، 7/1 .

رابعهما : أنه يدل على الحال حقيقة ، وعلى الاستقبال مجازا ، والدليل على ذلك دلالاته على الحال عند تجرّده من القرائن ودلالاته على الاستقبال عند دخول القرائن . وهي السين وسوف . وتبنى هذا الرأي الفارسي وابن أبي الرّكب وأيدّه السيوطي .

خامسهما : أنه يدل على الاستقبال حقيقة ، وعلى الحال مجازا ؛ وذلك لأنّ أصل أحوال الفعل أن يكون منتظرا ، ثمّ حالا ، ثمّ ماضيا ، فالمستقبل أسبق ، فهو الأحق بالدلالة ، وتبنى هذا الرأي ابن طاهر ، وردّ عليه بأنه لا يلزم من سبق المعنى .

وتبيّن لنا مما سبق أنّ خلاف القدماء حول دلالة الفعل المضارع الزمنية نابع من عدّة أسباب ، ومنها : حرصهم الشّديد على اقتران الحدث اللغوي المعبر عنه بصيغة (يفعل) بزمان محدد ، فما الفعل إلّا حدث مقترن بزمان ، فهناك علاقة وثيقة بين الحدث المعبر عنه بالصيغة والزّمن ، فالفعل الماضي مقترن بالزّمن الماضي ، وفعل الأمر مقترن بزمان المستقبل ، أمّا الفعل المضارع فهو مقترن بزمانين ، هما (الحال والاستقبال) . والسؤال الذي يطرح هنا ، هل يجوز للصيغة الواحدة أن تقتن بزمانين أو أكثر؟

هذا التساؤل كما أرى هو ما دفعهم إلى اللجوء إلى قضية المجاز ، فقالوا بأنّه صالح للحال حقيقة وللاستقبال مجازا أو العكس ، وهو ما دفع الجمهور ومنهم سيبويه لتبرير دلالاته على الماضي على سبيل المجاز ، بوجود مسوغ هو النفي ، إذ إن دلالاته الزمنية على (الحال والاستقبال) صالحة في الجملة الخبرية ، وليس في الجمل الإنشائية ومنها جملة النفي ، ويقول تمام حسان في ذلك :

"فعندما نسبوا الحال أو الاستقبال دائماً إلى صيغة يفعل...نظروا في الجملة الخيرية المثبتة والمؤكدّة ، فلم يجدوا هذه الدلالات الزمنية تتأثر تأثراً كبيراً بعلاقاتها في السياق ، ولكنهم عند نظرهم إلى الجملة المنفية وجدوا المضارع المنفي قد يدل على المضي...ولما كانت قواعدهم التي وضعوها عزيزة على أنفسهم لم يخطر ببالهم أن يعيدوا نظام الزمن في ضوء مطالب السياق ، وساغ لهم في حرصهم على القواعد أن ينسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات فقالوا: إنّ (لم) حرف قلب...¹ .

ومن أسباب ذلك أيضاً عدم تفريقهم بين زمن الفعل المفرد (الزمن الصرفي) وزمن الفعل في الجملة وفي السياق اللغوي (الزمن النحوي) ، فالزمن الصرفي يبدو قاطعاً في دلالة كل صيغة على معناها الزمني ، فصيغة (يفعل) تفيد وقوع الحدث في زمن (الحال) بشكل قطعي، أمّا في السياق النحوي فإن الفعل "وظيفة تؤديها الصيغة في السياق"² فقد يتخلّى عن دلالاته ليفيد دلالات زمنية جديدة³ ، كما سنرى في هذا الفصل .

وهذه الدلالات لا بدّ لها من تحديد زمني دقيق معبر عنه بالجهات الزمنية المتعلقة بمعاني القرب والبعد والاتصال والانقطاع والشروع والمقابلة...وغيرها.

كما في معنى المضارع شيء من الشمول والاتساع ، فقد يدل على ما صار بمنزلة الطبيعة والعادة ، فينتسح ولا يتقيّد بزمن ، وهو ما يعرف بـ (الزمن المطلق)⁴.

¹ اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص243.

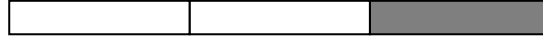
² ،المرجع السابق ،ص241.

³ الزمن النحوي في اللغة العربية، ص48.

⁴ إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (د.ت) ، ص72.

الدلالة الزمنية للفعل المضارع

الدلالة الأولى : الماضي المطلق .



الماضي المطلق الحال المستقبل

هو ما يعبر عن حدث وقع وانتهى في الزمن الماضي بشكل مطلق أي دون أن يتقيد بوقت محدد أو بفترة زمنية محددة من الزمن الماضي.

ومن القرائن اللفظية أو الأدوات التي وجّهت زمن الفعل المضارع إلى جهة الماضي البسيط في سورة التوبة هي حرف النفي (لم) ، فعندما تكون صيغة الفعل (لم يفعل) ، فإنه يدل على الماضي المطلق .¹

وقد ذكر النحاة القدماء أنّ (لم) حرف نفي وجزم وقلب ، فالنفي للمعنى ، والجزم للإعراب ، والقلب للدلالة الزمنية فتقلب دلالة الفعل المضارع الأصلية ، وهي (الحال أو الاستقبال) إلى دلالة الفعل الماضي الزمنية الأصلية وهي (الماضي) ، إي أن هذه القرينة تقلب زمن الفعل المضارع من الحال أو الاستقبال إلى الزمن الماضي .²

لم يفعل ← فعل (قلب الدلالة الزمنية من المضارع إلى الماضي) .

(المضارع) (قلب) (الماضي)

¹ الزمن النحوي ، ص132.

اللغة العربية مبناها ومعناها ، 241

نحو الفعل ، 30-31

² المفصل ، 109/8.

انظر في الأشباه والنظائر 112/2.

والشواهد كثيرة على ذلك في سورة التوبة ، ومنها :

1 . قوله تعالى : "إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا

عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"¹

إنَّ الله بريء من المشركين إلاَّ المعاهدين في مدة عهدهم، وقيل: الاستثناء منقطع، أي أن الله بريء منهم ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فأتموا إليهم عهدهم. وقوله: "ثم لم ينقصوكم" يدل على أنه كان من أهل العهد من خان بعهده ، ومنهم من ثبت على الوفاء، فأذن الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم في نقض عهد من خان، وأمر بالوفاء لمن بقي على عهده إلى مدته، ومعنى "لم ينقصوكم" أي من شروط العهد شيئاً، "ولم يظاهروا" أي لم يعاونوا أحداً عليكم.²

فالعهد كان في الزمن الماضي والوفاء به كان في الفترة الزمنية نفسها (مدة العهد) ، فلماذا لم يستخدم الله عزَّ وجل صيغة الماضي "وما نقصوكم وما ظاهروا عليكم أحداً" ؟ وذلك لأن حدث العهد وقع في تلك اللحظة التي تعاهدوا بها ، أما الوفاء به وعدم نقصه وخيانتة وحدث مطلق طوال فترة العهد الماضية .

2 . قوله تعالى : "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"³

¹ التوبة : 4 .

² البغوي ، الحسين بن مسعود(ت516هـ) ، معالم التنزيل ، تحقيق محمد عبد الله النمر ، دار طيبة ، (د.ت) ، ج4 ، ص13.

الكشاف ، ص234.

البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج1 ، ص395.

³ التوبة : 16.

وفي قوله تعالى : "لم يتخذوا " بيان أنهم لم يتخذوا من دون الله ورسوله أولياء أو خديعة أو خيانة ¹ في الزمن الماضي مطلقا ، " ولم يتخذوا " معطوفة على "جاهدوا " ، فلم لم تأت بصيغة الماضي ؟فتكون : "الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وما اتخذوا " ؟ وذلك لأن حدث الجهاد وقع في ساعته الماضية ، وانتهى أما حدث عدم الولاء لغير الله والخيانة فهو أمر مطلق في الزمن الماضي .

3 . قوله تعالى : "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" ²

قال ابن عباس : "لما أسر العباس يوم بدر عيَّره المسلمون بالكفر وقطيعة الرِّحم ، وأغلظ علي رضي الله عنه له القول . فقال العباس: مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسنا ؟فقال علي رضي الله عنه : ألكم محاسن ؟ فقال نعم : إنا لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج" ³ فأنزل الله عز وجل قوله " ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله.. " والآية التي تليها .

والمقصود بعمارة المسجد أي عمارته بالدخول فيه والعبادة والذكر والتقرب إلى الله . عزَّ وجلَّ . فلا يعمر المسجد الحرام المشركون بل يعمره من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . ⁴

¹ معالم التنزيل ، 4 / 19.

الكشاف ، 240/2.

الثعالبي ، عبد الرحمن ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق أبو محمد الغماري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج1، ص40.

² التوبة : 18.

³ معالم التنزيل ، 4 / 22.

⁴ معالم التنزيل ، 2 / 20 - 21.

قيل: "ما من مؤمن إلا وقد خشي غير الله، وما زال المؤمنون والأنبياء يخشون الأعداء من غيرهم" ¹ ، فالمعنى ولم يخش إلا الله مما يعبد؛ فإن المشركين كانوا يعبدون الأوثان ويخشونها ويرجونها ، وقال بعض المفسرين : "أي لم يخف في باب الدين إلا الله" ² فالمقصود بالخشية خشية التعظيم والعبادة؛ أي أنه لم يخش غير الله مطلقاً في ما مضى من الزمان فكانت خشيته لله وعبادته له وحده مطلقة في الزمن الماضي.

4. قوله تعالى : "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُزُهُمْ

فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ" ³

يبين الله . عز وجل . في هذه الآية أنه نصر المؤمنين في وقائع كثيرة لم تصل فيها أعدادهم كما كانت في حنين إذ قيل: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أحد عشر ألفاً وخمسمائة. وقيل: ستة عشر ألفاً. فقال بعضهم: لن نغلب اليوم عن قلة" ⁴. فوكلوا إلى هذه الكلمة، فكان لهم من الهزيمة في الابتداء إلى أن تراجعوا، فكان نصرهم بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبين الله عز وجل في هذه الآية أن الغلبة إنما تكون بنصر الله لا بالكثرة ⁵ ، فلم تغنهم كثرتهم عن الله ولا في أي مدة زمنية من الغزوة مهما صغرت ، ولم تكن سبباً لنصرهم على الإطلاق ، فنفي حدث إغناء الكثرة المسلمين عن الله . عز وجل . لم يقع في وقت محدد من غزوة حنين ، وإنما كان بشكل مطلق.

¹ الكشف ، 243/2.

² الجواهر الحسان ، 2 / 41.

³ التوبة : 25

⁴ معالم التنزيل ، 2 / 31.

⁵ الجواهر الحسان ، 1 / 44.

5. قوله تعالى : " ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ " ¹ .

يوضح الله . عز وجل . لنا في هذه الآية أنه أنزل على المسلمين في غزوة حنين ما يسكنهم ويذهب خوفهم، حتى اجتروا على قتال المشركين بعد أن ولّوا، وهم الملائكة الذين قوّوا المؤمنين بتثبيت قلوبهم ، وأضعفوا الكافرين بزعزعة قلوبهم ومن غير قتال، لأن الملائكة لم تقا تل إلا يوم بدر. ²

وفي قوله : "لم تروها " انتفاء لحدث الرؤية - رؤية المؤمنين للملائكة التي أنزلها الله

- على سبيل الإطلاق .

5. قوله تعالى : " وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ " ³ .

وصف الله قوما من المنافقين بأنهم عابوا النبي . صلى الله عليه وسلم . في تفريق

الصدقات، وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم، فإن أعطاهم النبي قليلا أو كثيرا في وقت معين مما مضى من الزمان رضوا بحكمه وبدينه ، وإن لم يعطهم مطلقا سخطوا عليه ونقموا على دينه ⁴ ، فجاء النفي لحدث العطاء نفيا مطلقا ، أي أن الفعل لم يتحقق في أي فترة من الزمن .

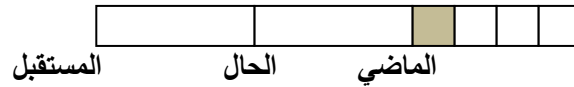
¹ التوبة : 26 .

² معالم التنزيل ، 2 / 30 .

³ التوبة : 85 .

⁴ الكشف ، 4 / 288 .

الدلالة الثانية: الماضي القريب من الحال .



هو ما يدل على حدث وقع وانتهى في الزمن الماضي في فترة زمنية قريبة من

زمن الحال .

والقرينة اللفظية التي تتصل بالفعل المضارع للدلالة على هذا الزمن هي (لَمَّا)

فتكون صيغة الفعل (لَمَّا يفعل) للدلالة على هذا الزمن.¹

وقد ذكر النحاة أنَّ (لَمَّا) هي حرف نفي وجزم وقلب أيضا إلا أنها تختلف عن (لَمْ)

(بأنها نفي لـ (قد فعل) بخلاف (لَمْ) التي هي نفي لـ (فعل) ، ومن ذلك ما قاله

الزمخشري : "لم ولما لقلب معنى المضارع إلى الماضي ونفيه ، إلا أن بينهما فرقا وهو أن

لم يفعل نفي فعل ، ولما يفعل نفي قد فعل".²

وعليه فإن (لَمَّا) تختلف في دلالتها الزمنية عن (لَمْ) بأنها تقرب الزمن الماضي

من الحال وذلك لأن (قد) تقرب الزمن الماضي من الحال ، فيكون زمن الفعل المضارع

بعدها ماضيا مقربا من الحال.³

وقد وردت هذه الصيغة في سورة التوبة مرة واحدة في قوله تعالى : " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ

تُزَكُّوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ

وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".⁴

¹ مغني اللبيب ، ص368.

انظر في همع الهوامع 1/ 8.

² المفصل ، 109/8.

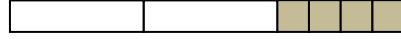
³ مغني اللبيب ، ج1، ص367.

⁴ التوبة : 16

يستنكر الله . عز وجل . من أفعال المنافقين فلن يتركوا من غير أن يبتلوا بما يظهر به المؤمن والمنافق الظهور الذي يستحق به الثواب والعقاب.

وقوله تعالى : " ولما يعلم الله " أي " لم ير الله " ¹ وجود ذلك أو لما يعلم الله ذلك وجودا كما علمه أزلا " ² طوال هذه الفترة الماضية لعدم رؤية الله . عز وجل . الأفعال التي تمحص المؤمن من المنافق لعدم وجودها ممتدة من الزمن الماضي إلى زمن الحال (زمن الخطاب) بالنسبة إليهم .

الدلالة الثالثة : الماضي المتجدد.



الماضي المتجدد الحاضر المستقبل

هو ما حدث في الزمن الماضي وانتهى ، وتكرر وقوعه في الزمن الماضي مرات عديدة .

ومن القرائن اللفظية التي تحدد هذا الزمن عند مجيئها الفعل الناقص (كان)، إذ تدل كان الناقصة على الفعل المضارع فتحول دلالاته من الحال إلى الماضي وتكسبه جهة التجدد.³

ولقد وقع خلاف بين النحاة حول حقيقة كان من حيث التمام والنقصان ، فرأى الكوفيون أنها أفعال عادية تامة تفيد الحدث والزمن كبقية الأفعال، ولكنها لا تنفك عن منصوب يأتي بعدها فاعلها يكون حالا، فقد أشار الأنباري في إنصافه أن الكوفيين رأوا في "

¹ معالم التنزيل ، 18/4.

² الجواهر الحسان ، ص40.

³ اللغة العربية مبناها ومعناها، ص 241.

كان وأخواتها أفعالا دالة على الكون وهو حدث ، مسندة إلى مرفوعها وهو فاعل ، لا تنفك عن منصوبها وهو حال " ¹ بحسب رأيهم ، وتبنى هذا الرأي من المحدثين إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي .

أما سيبويه وغالبية البصريين فيرونها أفعالا ناقصة لأنها تخلو من الحدث وتكتفي بالدلالة على الزمن ، وتتمام الفعل يكون باقتران الحدث بالزمن²، وتبع هذا المذهب من المحدثين تمام حسان الذي ينفي فعلية كان لافتقارها للحدث ، واعتبرها أدوات تفيد الجهة في الزمان فيقول " ومن هذا نرى أن جميعها . يقصد كان وأخواتها . تفيد الزمان ، ولا يفيد واحد منها معنى الحدث وجميعها يضيف إلى معنى الزمن أحد معاني الجهة " ³ والجهة التي تفيدها كان إذا سبقت صيغة (يفعل) هي التجدد كما ذكر تمام حسان.

ومن شواهد ذلك في سورة التوبة :

1. قوله تعالى : "اَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

¹ الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، المكتبة التجارية ، مصر ، 1960 ، ج 2 ، ص 490.

² همع الهوامع ، 1/ 113.

³ اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص 130.

يَعْمَلُونَ" ¹ .

أي أن المشركين نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان كما ورد عن مجاهد ، وبإمدادهم الأموال من أهل الطائف ليقوهم على حرب رسول الله كما ذكر ابن عباس ² .

أي أن هذه الأفعال السيئة بصورها المختلفة التي قام بها المشركون بنقضهم العهد الذي بينهم وبين رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تجدد حدوثها في الزمن الماضي ، ففي قوله " ما كانوا يعملون " ذم لأفعالهم الماضية المتجددة .

2. قوله تعالى : "يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ" هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ" ³ .

توضح الآية عقاب مانعي الزكاة يوم القيامة ، إذ تدخل كنوزهم وأموالهم التي جمعوها في نار جهنم ، فتحرق بها جباه كانزيها التي قبضت عند رؤية الفقراء وجنوبهم وظهورهم التي ولّوها لهم ، وهذا جزاؤهم ⁴ ، فسيذوقون عذاب وعقاب ما كان يكنزون من الأموال بشكل متجدد في الزمن الماضي بالنسبة ليوم القيامة .

¹ التوبة : 9.

² معالم التنزيل ، 4 / 16.

الكشاف ، 239/2.

³ التوبة : 35.

⁴ أنوار التنزيل ، 1 / 405.

3 . قوله تعالى: " يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" ¹ .

يحذر . الله عز وجل . عباده المؤمنين من تصديق المنافقين إذا رجعوا إليهم متظاهرين بالتوبة ، فالله . عز وجل . أعلم بسرائرهم وسيجازيهم تبعا لأعمالهم التي قدموها في الحياة الدنيا. ²

وقوله : " بما كنتم تعملون " دلالة على تجدد أعمالهم المناقة في الزمن الماضي ، فهي تجري فيهم مجرى العادة ولذلك أمر الله . عز وجل . بعدم قبول اعتذارهم وتوبتهم.

4. قوله تعالى : "سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" ³ .

بين الله . عز وجل . للمؤمنين موقف المنافقين بعد انتهاء غزوة مؤتة بأنهم سيخلفون أنهم ما قدروا على الخروج ، أي لتصفحوا عن لومهم فلا تكلموهم لأنهم رجس ، أي ذو أفعال قبيحة ، فجزاؤهم جهنم ، ⁴ فهذا ما يستحقونه من جزاء على ما كانوا يحققون من مكاسب بنفاقهم وتخلفهم عن الجهاد ، فقله بما كانوا يكسبون يدل على تجدد مكاسبهم في الزمن الماضي بالنسبة لانتهاؤ غزوة مؤتة .

¹ التوبة : 94.

² معالم التنزيل ، 4 / 85.

³ التوبة : 95.

⁴ الكشف ، 2 / 278.

5. قوله تعالى : " وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " ¹ .

قوله تعالى: " وقل اعملوا " خطاب للجميع، " فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " أي بإطلاعهم إياهم على أعمالكم ، " وستردون إليه فينبئكم بأعمالكم في الحياة الدنيا والتي هي متجددة في الزمن الماضي بالنسبة ليوم القيامة. ²

ففي قوله " بما كان يكسبون " دلالة على أن جزاءهم ليس نابعا من فعل قاموا به مرة واحدة ، وإنما من تجدد كسبهم غير المشروع في الزمن الماضي .

7. قوله تعالى : " لَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ³ .

أي إنهم لا ينفقون في سبيل الله من صغيرة أو كبيرة ، ولا يجاوزون واديا في مسيرهم مقبلين أو مدبرين إلا كتب لهم ليجازيهم الله جزاء حسنا عليه ⁴، وذلك لحسن أعمالهم المتجددة التي قدموها في الزمن الماضي .

فقد تجددت أعمالهم الحسنة في الحياة الدنيا التي هي زمن ماض بالنسبة إلى زمن الآخرة .

ويتبين لنا من دراسة الأفعال المضارعة " ما كانوا يعملون " " ما كنتم تعملون " ، " ما كانوا يكسبون " وتوضيح معاني أحداثها أنها ارتبطت بقرينة حالية هي حديث الله . عزَّ

¹ التوبة : 105.

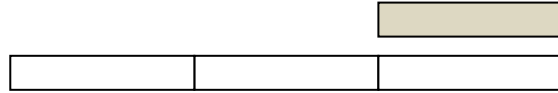
² معالم التنزيل ، 4 / 92.

³ التوبة : 121.

⁴ معالم التنزيل ، 4 / 101.

وجلّ . عن أفعال عامة متكررة ومتجددة يختتم به الآيات ووقعت في زمن مضى بالنسبة لما قبلها .

الدلالة الرابعة : الماضي المقارب .



الماضي الحاضر المستقبل

هو ما قارب حدوثه في الزمن الماضي ولكنه لم يحدث.

ومن القرائن اللفظية التي تجعل المضارع معبرا عن هذا الزمن هو فعل المقاربة (كاد)، فأفعال المقاربة تفيد القرب في مفهوم الزمن ، فقد قال ابن يعيش : " ألا ترى أنّ كاد وأخواتها إنما دخلت لإفادة معنى الزّمان في الخبر ، كما أنّ هذه الأفعال دخلت لإفادة معنى القرب من الخبر"¹ وقد خصّ (كاد) بقوله : " إذا قلت كاد زيد يفعل أراد قرب وقوعه في الحال ، إلا أنه لم يقع بعد لأنك لا تقوله إلا لمن هو على حد الفعل كالدّاخل فيه لا زمان بينه وبين دخوله فيه"².

وعليه فإن كاد عندما تسبق الفعل المضارع تحول دلالاته الزمنية إلى الماضي مفيدا جهة المقاربة أي الماضي المقارب .

وقد ورد هذا الزمن في سورة التوبة في قوله تعالى : "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"³ .

¹ شرح المفصل ، 115/7.

² المرجع السابق ، 131/7.

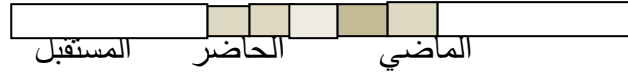
³ التوبة : 117.

اختلف العلماء في هذه التوبة التي تابها الله على النبي والمهاجرين والأنصار على أقوال فقال ابن عباس: كانت التوبة على النبي لأجل إذنه للمنافقين في القعود؛ ودليله قوله: " عفا الله عنك لم أذنت لهم " وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه. وقيل: توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة. وقيل: خلاصهم من نكاية العدو، وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحال الأولى.¹

وفي قوله تعالى: " الذين اتبعوه في ساعة العسرة " أي في وقت العسرة، والمراد جميع أوقات تلك الغزاة ولم يرد ساعة بعينها. وقيل: ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة.²

وفي قوله : " بعد ما كاد يزيغ " تدارك لقلوبهم حتى لم تزغ، أي وفقهم للتوبة ليتوبوا، أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم ليتوبوا إذا اقترب الفعل "يزيغ " جدا من الوقوع في الزمن الماضي ولكنه لم يقع بأمر الله ، وعليه فإن الدلالة الزمنية له هي الماضي المقارب .

الدلالة الخامسة: الحال التجدي أو الاستمراري.



هي ما يعبر عما يقع لحظة التكلم ويستمر حدوثه إلى المستقبل القريب أو البعيد. ومن القرائن اللفظية التي جعلها المحدثون التي توجه الفعل إلى جهة التجدد والاستمرار (ما المصدرية) فإذا اقترنت هذه القرينة بالمضارع تكون دلالاته الزمنية دلالة الحال الاستمراري .

¹ روح المعاني ، 11 / 57.

² المرجع السابق ، 11 / 58.

وقد تحدث ابن هشام عن نوعين من ما المصدرية : الزمانية ، وغير الزمانية ،
 فالأولى لاتهمنا في هذه الدراسة ، والثانية هي التي توجه الفعل جهة التجدد والاستمرار .
 "وهي التي ينسبك منها ومن فعلها مصدرا مؤولا لا يصلح ظرفا ، وإنما يقع في
 أبواب النحو الأخرى" .¹

ومن الشواهد على ذلك في سورة التوبة :

1. قوله تعالى : "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ"² .
- اتخذوا أحبارهم ورهبانهم كالآرباب إذ أطاعوهم في كل شيء ، فاستحلوا ما حرم الله ، وحرّموا ما أحل الله ، كما اتخذوا عيسى ابن مريم إلها خلافا لما أمروا به من عبادة الله وحده ، فتعالى الله عما يشركون به من آلهة .³
- وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال : " أتى رسول الله عز وجل جماعة من اليهود : سلام بن مشكم ، والنعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصّيف ، فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لاتزعم أن عزيرا ابن الله ؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية والآية التي سبقتها ليخبرنا عن عقيدة اليهود والنصارى .⁴

¹ مغني اللبيب ، 399/1-401.

² التوبة : 31.

معالم التنزيل ، 4 / 38.

⁴ المرجع السابق ، ص36.

فالله . عز وجل . وصفهم بالمشركين لاتخاذهم الأبحار أربابا من دونه ، فقالوا " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ " فحدث اتخاذهم الأبحار من دون الله وقع في الزَّمن الماضي والفعل " عَمَّا يُشْرِكُونَ " يدل على الزمن الحال المستمر لأنه سبق بما المصدرية.

ولكن ليس من المفترض أن فعل الشرك يحدث في زمن الحال بل إنه حدث من لحظة اتخاذهم الأبحار الرهبان أربابا من دون الله، أي إنه بدأ من الزَّمن الماضي واستمر إلى زمن الحالي المستمر إلى المستقبل .

فالمتمأمل في المعنى يجد أن الفعل "يشركون " يجب أن يزامن الفعل "اتخذوا " وذلك لأنَّ الله عز وجل منزّه عن شركهم من اللحظة التي أشركوا بها أي من لحظة اتخاذهم الرهبان أربابا .

وعليه فإن الفعل (يشركون) جمع بين زمانه وزمان الفعل اتخذوا فبدأ الشرك من الماضي وقد يصل إلى المستقبل لذا فهو يعبر عن مطلق الزمن .

ونستطيع أن نعلل انصراف الفعل عن دلالاته بوجود قرينة حالية هي تزامن الفعل المضارع المسبوق بـ(ما) مع فعل مضى يؤديان نفس المعنى .

وبناء على هذه القرينة الحالية المستقاة من تفسير الآية وسياق نزولها يتبين لنا أن الدلالة الزمنية للفعل "يشركون " في الزَّمن المطلق .

2. قوله تعالى : "وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا " يُنْفِقُ "

قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۖ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ¹ .

¹ التوبة : 99.

الدلالة السادسة : المستقبل القريب .

الماضي الحاضر المستقبل

ومن القرائن اللفظية التي تدل على زمن الاستقبال إذا اتصلت بالمضارع :

ومن الشواهد على ذلك في سورة التوبة :

انظر في شرح المفصل ، 8 / 148.

قوله تعالى : " وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَوَخَّاهُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ
عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ"¹ .

وقوله تعالى : "سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ " أي سيدخلهم الله . عز وجل . في جنته
في الحياة الآخرة² فهذا الفعل سيحدث في الزمن المستقبل القريب على اعتبار أن يوم
الساعة قريب .

2. إذا سبق بظرف يدل على المستقبل :

ومنه قوله تعالى : "يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتْكُوىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ"³ .

فسبق الفعل (يحمى) بظرف زمان يدل على يوم القيامة فالفعل يحمى سيحدث في
الزمن المستقبل القريب على اعتبار أن يوم الساعة قريب.

والفاء في الفعل "فتكوى" فاء عاطفة أي أن فعل الكوي أيضا سيحدث في الزمن
المستقبل القريب ، أي يوم قيام الساعة .

3 . إذا سبق بأن ، فهو أحد أحرف النصب فقد جاء في الهمع : " ومن شأن
النَّاصِبِ أَنْ يَخْلَصَ المضارع إِلَى الاستقبال "⁴.

ومن الشواهد على ذلك :

¹ التوبة : 99.

² الكشف ، 289/2.

³ التوبة : 35.

⁴ همع الهوامع ، 2 / 9.

1. قوله تعالى : "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"¹ .

وفي قوله: "أَن يُطْفِئُوا: بيان أن أهل الكتاب يريدون أن يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه ، فلم يستطيعوا أن يبطلوه فيما مضى ولا هم مبطلوه الآن ولكن يريدون أن يحققوا هذا الفعل في الزمن المستقبل المستمر ولكنه لن يتحقق.²

وفي قوله "أَن يُتِمَّ" إحالة لتحقيق الفعل السابق في المستقبل القريب وذلك لأن إرادة الله عز وجل هي المتحققة في الفترة الزمنية نفسها ؛ فالفعلان السابقان يدلان على الزمن المستقبل المستمر .

2. قوله تعالى : "مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ³ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ"³ .

ويروى أن من أسباب نزول هذه الآية أنه لما أسر العباس يوم بدر عيَّره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظوا عليه ، فقال العباس : "ما لكم تذكرن مساوينا ولا تذكرن محاسننا ، فقال له علي : ألكم محاسن ، فقال العباس : نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية"⁴ .

أي ما ينبغي للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله والمقصود بالمساجد البيت الحرام ، قال الحسن إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها .

¹ التوبة : 32.

² معالم التنزيل ، 39/4.

³ التوبة : 17.

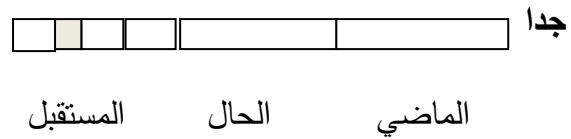
⁴ معالم التنزيل ، 39/4.

فعمارة المشركين للمسجد الحرام كانت قبل نزول هذه الآية وحتى قبل نزول الإسلام بزمان واستمرت حتى وقت نزول هذه الآية وبعدها ، ولكن بين الله . عزوجل . أن ما يقومون به من عمارة بحسب رأيهم ليس هو العمارة وإنما عمارة المساجد تكون بعبادة الله وتوحيده بها .

ونلاحظ هنا من هذه القرينة الحالية المستقاة من تفسير الآية وسبب نزولها أن العمارة التي تحدث عنها الله عز وجل غير مقيدة بزمن فهي غير مقترنة بزمن محدد في الماضي ولا بالحال ولا بالمستقبل وإنما تعبر عن مطلق الزمان .

الدلالة السابعة: المستقبل البعيد .

هو ما دلّ على حدث يرجى حدوثه في الزمن المستقبل ولكن نسبة حدوثه ضئيلة



ومن القرائن اللفظية المعبرة عن هذا الزمن في سورة التوبة أداة التَّرجي (لعلّ)، فهي تفيد توقع شيء من المستقبل مشكوك فيه أو مظنون ، وعليه فإنها توجه المضارع جهة المستقبل البعيد.

ومن أمثلة ذلك في سورة التوبة قوله تعالى : "وَأِنْ نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ " ¹.

إن نقض كفار قريش عهدهم بطعنهم في دينكم ، فلا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ، وهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهرا لا يبقى له عهد .

¹ التوبة : 12.

وقوله "لعلهم ينتهون " أي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم ، فهذه الطريقة وإن بدت صارمة قد تردعهم وقد لا تردعهم وهذا دلالة على شدة جحودهم وعنادهم وعداوتهم لدين الحق .¹

الدلالة الثامنة: المستقبل المطلق.

هو ما دل على حدث يتوقع حدوثه بفترة زمنية غير محددة من الزمن المستقبل. ولا خلاف أنّ لا الناهية تحصر الفعل المضارع في الاستقبال ، فهي أحد أحرف النّصب كما أنها لا ترد إلا مع الفعل المضارع لتتّهي المخاطب عن القيام بفعل في المستقبل.

وبما أنّ النهي جاء في سياق توجيهات الله عز وجل وأحكامه وسننه فهو نهى مطلق غير مقيد بجهة زمنية محددة. ومن أمثلة ذلك في سورة التوبة:

1. قوله تعالى : وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ² .

يأمر الله . عزوجل . نبيه في هذه الآية ألا يصلي على المنافقين ، ولا يقف على قبر أحد منهم وذلك لأنهم كفروا وماتوا وهم فاسقون ، فما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره حتى قبض .³

¹ معالم التنزيل ، 4 / 17.

² التوبة : 84.

³ أنوار التنزيل ، 414/1.

فجاء الأمر في قوله " ولا تصل " وفي قوله " ولا تقم " في الزمن المستقبل المطلق
فلا احتمال لوقوعه أبدا .

2. قوله تعالى : فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ¹ .

وفي قوله " فَلَا تُعْجِبْكَ " أي لا تستحسن ما أنعم الله عليهم من الأموال مطلقا ؛ لأن
العبد إذا كان من الله في استدراج كثير الله ماله ولده ليعذبه بهما في الدنيا ويعذبه بهما في
الآخرة .²

فجاء الفعل في سياق أسلوب النهي فالله عز وجل ينهانا عن القيام بفعل في الزمن
المستقبل لعلمه الغيبي بأنفسنا ، فلا احتمال لوقوع فعل الإعجاب في الزمن المستقبل
مطلقا .

3. قوله تعالى : "إِلَّا تَتَصَرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" ³ .

في هذه الآية إعلام من الله . عز وجل . أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه ، إذ
أخرجه الكفار من مكة حين مكروا به ، وأرادوا تبتيته وهموا بقتله ، وكان مع النبي . عليه

¹ التوبة : 55.

² أنوار التنزيل ، 408/1.

معالم التنزيل ، 59/4.

³ التوبة : 40.

الصلاة و السلام . صاحبه أبو بكر فحزن أبو بكر على النبي . صلى الله عليه وسلم .

وقال : إن أقتل فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت أمة ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن

الحزن ، وذلك لثقته بتأييد الله ونصره .¹

وفي قوله " لا تحزن " دلالة على وقوع الفعل في زمن الحال ، فجاء النهي لعدم

استمراره في الزمن المستقبل ، فلا احتمال لوقوع هذا الفعل في الزمن المستقبل مطلقا ، وذلك

لثقة المؤمن بتأييد الله ونصره والرضا بقضائه وقدره مهما كان ، فهو أعلم بالخير .

4. قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا

الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ²

¹ الجواهر الحسان، 5/2.

أنوار التنزيل ، 405/1.

معالم التنزيل ، 49/4.

² التوبة 23.

قيل نزلت هذه الآية في قصة العباس وطلحة وامتناعهما عن الهجرة ، وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة ، فنهى الله عن ولايتهم واتخاذهم بطانة وأصدقاء يفشون إليهم أسرارهم ويؤثرون البقاء معهم على الهجرة وذلك لأنهم اختاروا طريق الكفر وفضلوه على الإيمان ، إذ كان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر ¹.

وهذا دلالة على النهي عن اتخاذ المنافقين أولياء في قوله: " لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ " جاء في الزمن المستقبل بشكل مطلق ، فلا احتمالية لوقوعه أبداً لأنه في ذلك الوقت لم يقبل الإيمان إلا من مهاجر كما ذكرنا سابقاً .

¹ معالم التنزيل ، 4 / 24.

الدلالة التاسعة : الزمن المطلق .

--	--	--

الماضي الحال المستقبل

هو ما يدل على حدث جرى مجرى الحقيقة أو الطبيعة أو العادة فيتسع

ولا يتقيد بزمن .

ومن القرائن اللفظية التي تحيل المضارع إلى الزمن المطلق (لا النافية) ، وقد ذكر النحاة القدماء أنَّ لا النافية تخلص المضارع للمستقبل ، ومن ذلك قول سيبويه : " وتكون (لا) نفياً لقوله يفعل ولم يقع الفعل ، فتقول لا يفعل " ¹ ، ويوضح ذلك ما قاله الزمخشري : " لا لنفي المستقبل في قولك لا تفعل " ² ، وقد تبني هذا الرأي عدد من المحدثين مثل تمام حسان ، وكمال رشيد ، ومهدي المخزومي... وغيرهم .

أمَّا إبراهيم مصطفى فلا يراها مقتصرة على الاستقبال وإنما فيها من الشمول والاتساع ما يستوعب كل الأزمنة : فيقول " والنافية للمضارع هي أكثر أنواع لا استعمالاً ، ونصف ما ورد في القرآن الكريم من هذا النوع ، ويلاحظ في نفي المضارع أنك تقول : لم يتكلم فالنفي للماضي ، وما يتكلم فالنفي للحال ، ولن يتكلم فهو للمستقبل ، فإذا قلت لا يتكلم كان النفي أوسع وأشمل " ³ .

ومن الشواهد التي تثبت صحة رأيه في سورة التوبة ، ما يلي :

¹ الكتاب ، 4 / 222 .

² شرح المفصل ، 8 / 108 .

³ إحياء النحو ، ص 72 .

1. قوله تعالى : "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" ¹ .

يوجه الله . عز وجل . في هذه الآية خطابا للمتخلفين عن الهجرة على لسان نبيه محمد . صلى الله عليه وسلم . بأن ينتظروا وعيدهم حينما يقضي الله بفتح مكة ، وذلك إذا كانت أموالهم أعز عليهم من الله ورسوله عندما قالوا: "إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا " ، والله لا يوفق الخارجين عن الطاعة ولا يرشدهم.²

يمثل قوله تعالى : " وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" قاعدة من القواعد الربانية الثابتة فهي لا تتغير على مر الزمان فينفي الله عز وجل حدوث فعل الهداية مطلقا للقوم الفاسقين العاصين المخالفين لتعاليم الله . عز وجل . فالفعل (لا يهدي) شمل كل الأزمان ، فالله . عز وجل . لا يهدي فاسقا أبدا على مر الزمان .

2. قوله تعالى : "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" ³

¹ التوبة : 24.

² أنوار التنزيل ، 400/1.

معالم التنزيل ، 25/4.

³ التوبة : 92.

نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله بقتال الروم فغزا بعدها غزوة تبوك ، وقيل في:
 "لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" أي لا يؤمنون كإيمان المؤمنين ، أي لا يدينون دين الحق
 وهو الإسلام.¹

وإذا ما أردنا أن نحدد زمن الأفعال " لَا يُؤْمِنُونَ " و " وَلَا يُحَرِّمُونَ " و " وَلَا يَدِينُونَ " ،
 نطرح تساؤلا ، هل المقصود في ذلك أنهم لا يؤمنون ولا يحرمون ولا يدينون في زمن الحال
 فقط (أي وقت نزول هذه الآية)؟ هل هذا يعني أنهم كانوا يدينون دين الحق في الزمن
 الماضي؟ لم أمر الله عز وجل بقتالهم في المستقبل القريب لو كان عدم إيمانهم منحصرا
 فيما مضى من الزمن إلى وقت نزول الآيات؟ ألا يدل ذلك على أن هذه الأفعال ملازمة لهم
 على مر الزمان ؟

كل هذه الأسئلة تقودنا إلى إجابة واحدة وهي أن هذه الأفعال حدثت وتحدثت في
 مطلق الزمان فهي غير محددة في زمن معين فإنها شملت كل الزمان .

3. قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ
 النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ² وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"² .

قال في الآية السابقة ابن عمر: "كل مال تؤدي زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفونا
 ، وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز ، وإن لم يكن مدفونا".³

¹ أنوار التنزيل ، 417/1.

معالم التنزيل ، 84/4.

الجواهر الحسان ، 67/2.

² التوبة : 32.

³ معالم التنزيل ، 39/4.

وجاء الفعل في سياق من التعميمات والقواعد الإلهية فكل من يكثر أمواله ولا ينفقها فله عذاب أليم على مر الزمان ، فزمان حدثي الكنز وعدم الإنفاق زمن غير محدد فهو زمن مطلق .

4 . قوله تعالى : " لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ " ¹ .

يتحدث الله . عز وجل . في هذه الآية عن المشركين الذين نقضوا العهد ، فيخبرنا الله . عز وجل . بأنهم لو ظهروا لا يبقون على المؤمنين ؛ وذلك لأن الله . عز وجل . أعلم بما في صدورهم. ²

فالفعل " لا يرقبون " فعل ملازم للمشركين فهو غير محدد بزمان وإنما يدل على مطلق الزمان .

5. قوله تعالى : " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ³ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

. ³

أخبرنا الله . عز وجل . في هذه الآية أن عمارة المشركين للمسجد الحرام بالسقاية لا تتفهم مع الشرك بالله فلا يستوي ذلك ويتعادل مع الإيمان بالله والجهد في سبيله ، فذلك خير مما هم عليه.

¹ التوبة : 10

² أنوار التنزيل ، 397/1.

معالم التنزيل ، 16/4.

³ التوبة : 19.

وفي قوله " لا يستثنون " نفي مطلق، فعدم المساواة بين المؤمن والكافر أمر يشمل كل الأزمان فهو غير مرتبط بزمن بعينه، وإنما يعبر عن مطلق الزمان .

وكذلك قوله " لا يهدي القوم الظالمين " قاعدة من القواعد الإلهية الثابتة غير مرتبطة بزمن بعينه فلا يهدي الله ظالما أبدا عبر مطلق الزمان .

كما جاءت في سورة التوبة أفعال مضارعة دالة على الزمن المطلق لم تقترن بقرينة لفظية؛ فكان للقرينة الحالية دور بارز في تحديدها كما هو مبين فيما يلي :

1. قوله تعالى : "إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" ¹ .

يأمر الله بإتمام عهد من بقي على العهد ولم ينقضه من المشركين وذلك لأن الله يحب الذين يتقونه ويخشونه .

ونلاحظ هنا أنَّ الفعل "يحب" لم يقترن بقرينة لفظية تحدد زمنه ، إلاَّ أنَّه جاء في سياق يعرض قاعدة من القواعد الربانية السائرة على مر الزمان ، فحب الله للمتقين مطلق غير مرتبط بزمن بعينه ، فكان للقرينة الحالية هنا دور بارز في تحديد المعنى .

2 . قوله تعالى : " كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" ² .

¹ التوبة: 4 .

² التوبة: 7 .

يتساءل الله . عز وجل . عن عهد المشركين عند الله ورسوله ، أي لا يكون لهم عهد

أبدا وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى المعاهدين عند المسجد الحرام .¹

فالله . عز وجل . يحب المتقين الذين يتقونه ويخشونه وهذه قاعدة إلهية فالله يحب

المتقين على مر الزمان ، فلم يقترن حدث الحب بزمان بعينه، وإنما عبر عن مطلق الزمان .

¹ أنوار التنزيل ، 396/1.

معالم التنزيل ، 14/4.

الجواهر الحسان، 38/2.

الخاتمة :

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات ، أجمالها في الآتي :

أولاً: النتائج:

1. أن الفعل المضارع غير مقترن بدلالة زمنية بعينها ضمن السياق اللغوي، إذ رأينا تعدد دلالاته في سورة التوبة تبعاً لارتباطه بالقرائن اللفظية أو الحالية.
2. لا يكتفي الفعل المضارع بارتباطه بالقرينة اللفظية وحدها ليبدل على زمن بعينه في السياق اللغوي، إذ لا بد من تضافر القرينة اللفظية مع القرينة الحالية لتحديد الزمن المطلوب.
3. للجهات الزمنية دور بارز في التحديد الزمني الدقيق للحدث في السياق اللغوي.
4. أن القرينة اللفظية (لا النافية) لا تحصر الفعل المضارع في الدلالة على الزمن المستقبل في سياق سورة التوبة؛ إذ إنها تتسع لتشمل الأزمنة كلها ليبدل الفعل من خلالها على مطلق الزمان.

ثانياً: التّوصيات :

تساهم دراسة الدلالات الزمنية للأفعال وتحديد الجهات الزمنية لها في تطوير مفهوم الزمن في النّحو العربي، وخروجه عن بوتقة الزمن الفلسفي الذي اعتمده القدماء في التقسيم الزمني للفعل.

وبناء على ذلك فإن الباحثة توصي بالأمور الآتية:

1. توجيه طلبة العلم بالدراسة البحثية لمفهوم الدلالة الزمنية في سياقات مختلفة.
2. تقعيد القرائن الحالية المعبرة عن الدلالات الزمنية وجاهاتها.
3. ضرورة تطبيق الدراسات اللغوية على القرآن الكريم؛ لأنه أرقى النصوص اللغوية وأكثرها بيانا.

قائمة المصادر والمراجع

- . القرآن الكريم .
- . الأثري، محمد بهجة ، أعلام العراق ، الدار العربية ، بيروت ، ط1 ، 1422 هـ .
- . الأزهرى، خالد عبد الله، شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، تحقيق عيسى البابي الحلبي، (د ت) .
- . الألوسي ، شهاب الدين (ت 127 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1994.
- . الألوسي، شهاب الدين (ت 127 هـ)، غرائب الاغتراب ، (د.ت).
- . الألوسي، محمود شكري (ت 1342 هـ) ، المسك الأذفر ، مطبعة الآداب ، بغداد ، 1930 .
- . الأنباري، أبو البركات (ت 577 هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد ، ط2 ، 1970م.
- . الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذاهبه في النحو واللغة، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، القاهرة، 1964.
- . برجستراسر، التطور النحوي في اللغة العربية، تحقيق رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي بالقاهرة، 1402 هـ - 1982م.
- . البطاط ، هاني ، مقولة الزمن (القرينة والدلالة دراسة لسانية) ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، المجلد الرابع ، العدد 1، 2009.

. البغدادي، أبو بكر أحمد بن الفضل (ت 463 هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى نهاية 463 هـ، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

. البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة، (د.ت).

. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004.

. جحفة، عبد المجيد، دلالة الزمن في العربية (دراسة النسق الزمني للأفعال)، دار توبقال للنشر، ط1، 2006.

. حسام الدين، كريم زكي، الزمان الدلالي، (دراسة لغوية لمفهوم الزمان في الثقافة العربية)، دار غريب للطباعة والنشر، ط2، 2002.

. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب ، ط 1994م

. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1974 .

. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مطبوعات دار المأمون، ج20، 1936 . 1938 م.

. الحوفي، أحمد محمد، الزمخشري، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1966.

. الخالدي، كريم حسين ناصح و زنكنة، شيماء رشيد محمد، الخلاف في الزمن في ضوء السياق

والحال وأسباب النزول، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 75، 2012 .

. ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت808 هـ) ، تحقيق د. علي عبد الواحد الوافي ،
(د.ت).

. ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ت (68) هـ ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق محمد
محبي الدين عبد الحميد، (د. ت).

. الذهبي ، محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة ، بيروت ، ط1 ، ج1 ، 1961 .

. الريحاني، محمد عبد الرحمن، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر،
القاهرة، (د،ت).

. زكريا، ميشال، الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2،
1983م .

. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل
وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان،)
(د.ت).

. السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط3، 1983م .

. السامرائي، إبراهيم، تنمية اللغة في العصر الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1973.

. سيبويه، عمرو بن عثمان (ت: 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ط3، 1988 م.

. السيوطي ، جلال الدّين ، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
المكتبة العصرية ، بيروت، (د . ت).

. شاكّر، سالم، مدخل إلى علم الدلالة، تحقيق محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط
1992م .

. الضبع، يوسف، ابن هشام وأثره في النحو العربي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1998.

. ضيف، شوقي، المدارس النّحوية، دار المعارف، مصر، 1968 .

. عاشور، محمد الفاضل ، التفسير ورجاله ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ط1، 1959 .

. عبد الرحمن، لبنى (2004م) . دلالات الفعل المضارع الزمنية في سورتي يوسف والتّحّل، رسالة

ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

. عبد الرحمن، مصطفى (2005) . الفعل المضارع في سورة آل عمران (دراسة صرفية ونحوية تطبيقية

.) رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

. عبد الكريم، صبحي عبد الحميد محمد ، اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء ، دار الطباعة

المحمدية ، القاهرة ، ط1 ، 1986م.

. عزيز، كوليزار كاكل، القرينة ، ط1، 2009.

. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتاب، ط3، 1998 م .

. العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993.

- . العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطراز ، مطبعة المصطفى ، ط 1 ، 1914.
- . الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ) ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار ، (د. ت.) .
- . القفطي ، أبو الحسن علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1995م.
- . كريم ، فايزة (2014) . الفعل العربي وصيغه الزمنية في جزء عمّ . رسالة ماجستير ، جامعة القسطنطينية ، الجمهورية الجزائرية.
- . المخزومي ، مهدي ، في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، مصر ، 1966.
- . المخزومي ، مهدي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت . لبنان ، ط 2 ، 1986م.
- . المطلبي ، مالك يوسف ، الزمن واللغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 1986 م .
- . المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة ليدن ، مطبعة بريل ، 1959 م .
- . الملاح ، امحمد ، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2009م.
- . ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب ، (ت 385 هـ) ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، 1971
- . ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن مبارك وسعيد الأفغاني ، دار الفكر ، (د. ت.) .

. ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان،
(د.ت) .

. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (د, ت).